ثورة الصومال

مجدى
نصيف

أرض البخور والعطور

مجدي نصيف

ثورة الصومال

أرض البخور والعطور

الناشر : مكتبة مدبولي

الطبعـــة الأولى

يوليـــه ١٩٧٤

الغلاف بريشة الفنان بهجت عثمان

إهداء

إلى الشعب الصومالى الذى يبنى حياة

جديدة بقيادة جالى محمد سياد برى .

مجدى نصيف

الصومال .. والدول العربية

بقلم عمر عارتة

وزير خارجية جمهورية الصومال الديمقراطية

الصومال كانت ولا تزال جزءاً لا يتجزأ من العالم العربى ، حضارياً وسياسياً واقتصادياً واستراتيجياً . فالعروبة ليست لون بشرة ، وإنما هى شعور قومى وارتباط عاطفى ومصالح مشتركة . والشعب الصومالى لم يشعر فى أى وقت من تاريخه ، أنه خارج عن نطاق المجموعة البشرية التى تعيش فى الوطن العربى ، وغيابنا عن جامعة الدول العربية حتى الآن كان لأسباب تكتيكية ومرحلية ، وقد وصلنا الآن إلى تلاحم بين الدول الإفريقية والدول العربية خلال التطورات السياسية التى حدثت فى المنطقة بعد معركة السادس من أكتوبر العظيمة ، لذلك كان القرار طبيعياً وعودة إلى واقع الأمور .

إن الارتباط بين الصومال والعالم العربى هو ارتباط منذ فجر التاريخ الجيولوجى . فقد كان الساحل الشرقى لإفريقيا ملتحماً بالجزيرة العربية ، ثم

كانت هزة عنيفة أحدثت فجوة ، فشق البحر الأحمر طريقه ليفرق بين إفريقيا والجزيرة العربية .

وفى الحقيقة أنه منذ عصر الفراعنة ، أدرك حكام مصر ضرورة الإرتباط بالصومال لأهميته الاستراتيجية . وقد أكمل محمد على هذه الفكرة بضم الصومال . ومن الأسباب غير المعروفة التى أدت إلى اندلاع الثورة العرابية سقوط الحامية المصرية فى هرر بالصومال .

وكان للشعب الصومالى علاقات مع اليمن القديم ، وقد توطدت هذه العلاقات بعد انتشار الإسلام فى الجزيرة العربية ، فقد كانت الصومال من طلائع البلدان فى الوطن العربى التى استقبلت هذا الدين ونشرت لواءه . وكان ذلك دفعة قوية لتوطيد الروابط الأخوية والمصيرية بين الجزيرة العربية والصومال ، وبالتالى تحمل المسئولية المشتركة للدفاع عن الوطن العربى ، حيث بدأت طلائع الاستعمار الغربى تهدده من سواحل الشـــام ومصر وفلسطين ممثلة فى الحملات الصليبية . وما أن انحسرت تلك الحملات بعد صراع طويل مرير ، حتى ظهرت البرتغال فى القرن السادس عشر فى المحيط الهنـدى . كان على الصومال هذه المرة أن يبدأ دوراً من أهم أدواره فى التاريخ لحماية الوطن العربى الـكبير من الجنوب ، فتصدى للسفن البرتغالية التى حاولت أن تتخذ لها قواعد فى سواحله من مقديشيو إلى بربرة وزيلع ، للهجوم على الجزيرة العربية والمقدسات الإسلامية .

وقد ظهر جلياً مدى التلاحم العميق بين الجزيرة العربية والصومال فى صد الغزاة ، ودحر خططهم بالرغم من لجوء البرتغاليين إلى خلق تحالف مضاد فى المنطقة ، لـكى يتمكن من احتلال السواحل التى عجز البرتغاليون عن احتلالهـا بحراً . واستمر هذا الصراع لأجيال طويلة حتى العصر الحديث .

ولم تكن كل هذه الأحداث التى جرت على أرض الصومال ، دفاعاً عن الوطن الصومالى فحسب ، بل كانت فى الحقيقة دفاعاً عن الوطن العربى كله . فمحاولة احتلال سواحل الصومال لم تكن هدفاً فى ذاتها سواء من قبل البرتغاليين أو حلفائهم فيما بعد .

لقد كان الهدف هو ضرب الحضارة العربية والإسلامية آنذاك . وهذه الاستراتيجية لم تتغير حتى يومنا هذا .

وبدأت الصومال تخطو إلى الحياة وتتطلع إلى المستقبل بشعبها القوى الذى لم يستجب للتمزيق ، ولم تؤثر فى انتمائه الحضارى إلى الأمة العربية كل المحاولات الاستعمارية إبان فترة الاستعمار .

وكلنا يعرف طبيعة العراقيل السياسية والاقتصادية والثقافية التى وضعت فى وجه الصومال لمنعه من الاتصال بالأمة العربية ، وحين قامت الثورة الصومالية فى أكتوبر ١٩٦٩ ، حرصت على أن تؤكد خطها الثورى المتلاحم مع الأمة العربية ، وأعلنت بصراحة وقوفها مع أشقائها فى جميع قضاياهم المشروعة .

وإن الشعب الصومالى ليذكر بالتقدير الجهود التى بذلتها مصر من أجل مساعدة الشعب الصومالى فى الحفاظ على تراثه القومى ، وارتباطه العميق بالأمة العربية ، وقد سقط لها شهداء قديماً وحديثاً ، دفاعاً عن الحق والحرية ، وتلك ضريبة الريادة للشقيقة الكبرى مصر .

إن جمهورية الصومال الديمقراطية عندما أعلنت وضع كافة مواردها — أثناء حرب أكتوبر — تحت تصرف الجيوش العربية ، كانت تعنى كل ما تعلنه ، وهو أقل ما يجب أن نقدمه فى سبيل بقاء هذه الأمة وازدهارها .

وفى يوم الخميس ١٤ فبراير ١٩٧٤ احتفلت جامعة الدول العربية بانضمام

عضو جديد لها ، وارتفع العلم الصومالى الأزرق ذو النجمة البيضاء يرفرف إلى جانب أعلام الدول العربية الأخرى ، والآن سوف نلعب دورنا الجديد بإخلاص للعروبة ولأفريقيا . هناك مسئولية جديدة ولسوف تكون الصومال جسراً قوياً بين أفريقيا والعالم العربى ... وهذا هو دورنا التاريخى ، وعلينا أيضاً المشاركة فى تحويل التكامل الاقتصادى بين العرب وأفريقيا إلى إيجابيات .

وهذا الكتاب الذى يقدمه الأستاذ مجدى نصيف هو ثمرة دراسة ومقابلات مكثفة ومتعددة عاصرتها بنفسى خلال فترة وجوده بجمهورية الصومال الديمقراطية ، قام بعدها بتجميع عدد من المراجع والوثائق . وهو بهذا يقدم تجربتنا إلى الشعب العربى ، تجربة ثورة أكتوبر وتجربة الشعب الصومالى فى بناء مجتمع اشتراكى بسماته وخصائصه ، ومصاعبه ومشكلاته .

عمر عارته

هذا الكتاب

كان احتفال جمهورية الصومال الديمقراطية بعيد ثورتها الثالث (أكتوبر ١٩٧٢) احتفالا كبيراً . فقد قطعت الثورة ـ رغم أنها ما زالت فى بدايتها ـ شوطاً كبيراً وثبتت أقدامها بين جماهيرها . وتمثلت الاحتفالات فى الوفود العديدة التى حضرتها ، وفى إعلان العديد من الإجراءات والشعارات الجديدة التى تغنت بها جماهير الشعب الصومالى فى الأغانى والأهازيج . لقد اشتركت وفود أربعين دولة شرقية وغربية وإفريقية وعربية إمتلأ بها « فندق جوبا » الذى رفع صرحه أهالى العاصمة مقديشيو بجهودهم الذاتية ، إلى جانب وفود حركات التحرر الإفريقية . وشارك فى الاحتفالات الرئيس جوليوس نيريرى على رأس وفد تانزانى ضخم يضم ثمانية وزراء ، والرئيس عيدى أمين على رأس وفد أوغندى ضخم يضم ٩٥ شخصاً . بينما امتلأ « فندق شيبيلى » بالصحفيين ومندوبى الإذاعة والتلفزيون .

وفى يوم الاحتفال تجمعت الجماهير ترتدى ملابسها الوطنية المزركشة فى الاستاد الذى بنته بجهودها الذاتية ، وأمام ضيوف الصومال اشترك ستة آلاف تلميذ وتلميذة فى عرض المهرجان الثالث للشباب تحت شعار « الصومال تسير قدماً » من سبعة فصول متتالية تعبر عن منجزات الشعب الصومالى وآماله وتطلعاته إلى حياة أفضل .

وكما قال عبد الرازق أبو بكر وزير التربية والتعليم :

— إن العروض والتشكيلات والحركات التعبيرية والألوان المختلفة من الأدوات والأزياء واللوحات الخلفية تعبر « عن واقع شعبنا الصومالى فى هذه المرحلة الثورية » المليئة بالعمل الخلاق المستمر ، هذا الشعب الذى هب ونفض الغبار عن نفسه للدفاع عن استقلاله وسيادته القومية ، ولبناء اقتصاده الوطنى وتطوير ثقافته وتراثه القومى . إن العروض المهرجانية تصور على الصعيد الداخلى أمانى وآمال الشعب الصومالى فى إقامة مجتمع الاشتراكية والكفاية والعدل فى هذا الجزء من القارة الإفريقية ، والعمل من أجل الوحدة الوطنية . أما على الصعيد الخارجى فهى تصور بشكل واضح الخط العام لسياسة ثورتنا الشعبية وموقفها من الأحداث والقضايا الدولية والمبنى على معاداة الإمبريالية العالمية والاستعمار بنوعيه القديم والجديد ، والعنصرية والصهيونية . وعلى مساندة الشعوب المكافحة من أجل التحرر والاستقلال الاقتصادى فى العالم أجمع ، وتوطيد علاقات الصداقة مع جميع قوى التقدم فى العالم ، وعلى الأخص فى القارات الثلاث : « أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينيه » .

وكانت الشعارات التى رفعت تعبر عن هذه السياسة بحق ، وكانت ترفع عن طريق لافتات خلفية بواسطة ما لا يقل عن خمسة آلاف تلميذ باللغتين الانجليزية والعربية : عاشت الاشتراكية العلمية — لنطور الصناعة — لنطور تراثنا القومى — لنكتب لغتنا الأم — نحن جيل الثورة -- فلندافع عن وطننا — فلنحبط دسائس العملاء والأعداء — فلندافع عن الثورة مهما كان الثمن — فلندافع عن مكاسبنا الثورية — نحن ضد الاستعمار والتنين الامبريالى — أفريقيا للافريقيين .

* * *

ولقد دعيت لزيارة الصومال وحضور احتفالات العيد الثالث للثورة ، وكان المفروض ألا أمضى هناك أكثر من أسبوعين ، ولكننى قضيت أربعة أسابيع ، شهراً كاملا زرت فيه الصومال من أقصى الشمال عند هرجيسا ، إلى أقصى الجنوب عند كسمايو على خط الإستواء .

وخلال هذه الزيارات قابلت العديد من الشخصيات الصومالية : جالى محمد سياد برى رئيس مجلس الثورة الصومالية وعدد من أعضاء المجلس والوزراء وعديد من رجال « مكتب العلاقات العامة » نواة حزب الثورة الذى سيعلن فيما بعد . وناقشت مع الجميع كل ما عنّ فى خاطرى من قضايا . ووجدت أن الصومال خير نموذج لإثارة عديد من القضايا الخاصة بتطور المجتمعات الإفريقية القبلية إلى مجتمعات عصرية ، وعندما عدت إلى القاهرة أخذت أناقش عدداً من الأصدقاء حول التجربة الصومالية ، ووجدت عدداً كبيراً منهم لايعلم إلا القليل عن هذه التجربة ، وأخذ يتابع ما أقوله وكأنه يسمع لأول مرة . من هنا كان قرارى أن أكتب التجربة كما عشتها .

وأود أن أوجه شكرى للسيد عبد الله آدن سفير الصومال بالقاهرة الذى كان يتابع هذا المجهود ، وكذلك إلى الصديق عبد الله الشيخ الملحق الصحفى الذى زودنى بكل ما أحتاج إليه من دراسات ومجلات وتابع هذه الدراسة وناقش معى عدداً من فصولها .

مجدى نصيف

القاهرة — مارس ١٩٧٤

الصومال فى سطور

— تقع جمهورية الصومال الديمقراطية فى قرن إفريقيا ، عند طرفها الشرقى .

— مساحتها ٦٣٧٫٠٠٠ كيلو متراً ، وهى بذلك أكبر من مساحة فرنسا وبلجيكا وهولندا معاً .

— ٨٥٪ من سكانها من البدو (حوالى ٣ مليون نسمة) الذين يذرعون السافانا بقطعانهم من الجمال والأبقار خلال السنة .

— يشكل الموز والثروة الحيوانية معاً حوالى ٨٣٪ من صادرات الصومال .

— الصومال — حتى الآن — فقيرة فى المعادن ، وصناعتها جنينية ، والفروع الأساسية فى الاقتصاد هى زراعة الموز وقصب السكر وتربية الماشية .

— حصلت الصومال على استقلالها فى أول يوليو ١٩٦٠ ولكنها لم تتمتع بثمار الحرية إلا بعد قيام ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ ، هنا دخلت الصومال مرحلة جديدة فى تطورها التاريخى .

— قامت الثورة بقيادة الجنرال محمد سياد برى وشكل بعد قيامها « المجلس الأعلى للثورة » وأصبحت بين يديه السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية .

— أعلن أعضاء المجلس أن هدف الثورة هو بناء مجتمع يعتمد على العدالة الاجتماعية ووضع أسس تنمية اقتصاد مستقل .

— أنجزت الصومال مهاماً كثيرة بعد الثورة لعل أهمها تأميم البنوك الأجنبية والشركات والمؤسسات ذات رأس المال الأجنبى — الصومالى المشترك .

بلاد البخور والعطور

عرف الرحالة العرب والفرس والهنود والفينيقيون سواحل الصومال جيداً ، وفى أواخر القرن الرابع عشر وصلت سفن فاسكودى جاما إلى مقديشيو ؛ ولقد حظيت الصومال بشهرة خاصة فى التاريخ منذ أن أطلق عليها قدماء المصريين « أرض بونت » ، وما زالت هناك بعض المحلات فى مقديشيو يطلق عليها إسم « بونت » . وكانت فيلة جيش الاسكندر ذو القرنين مستوردة من الصومال . أما البخور والعطوز التى أطلقت فى مساجد العالم الإسلامى لقرون طويلة فقد كانت مستوردة من الصومال . وكان ميناء بربرة مركزاً لتجارة الصمغ والبخور وريش النعام والبن والجمال ، وقد أطلق الصوماليون على بلادهم إسم « سو مآل » أى « بلاد الحليب » أو « سيد فار » أى « بلاد الجمال » ، وهذه التسمية الأخيرة هى الأقرب إلى الواقع . فالجمل يسقى بدو الصومال الرحل ويغذيهم ويلبسهم ويحمل حاجياتهم فى أنحاء البادية حتى الآن وكما كان الأمر منذ مئات السنين ، ولا زالت الجمال من أهم صادرات الصومال حتى الآن ، ويباع لبن الجمال المبستر فى محلات الألبان بمقديشيو ، وهم يشربونه مدخناً — أما رأس غردفوى الذى هو عبارة عن حاجز طبيعى يتلقى بصدره أمواج خليج عدن والمحيط الهندى ، فقد أطلق عليه إسم رأس العطريات .

فجمهورية الصومال تمتد أرضها فى قرن أفريقيا الشرقى فى مواجهة خليج عدن متجهة إلى أسفل بما يماثل رقم سبعة باللغة الانجليزية 7 فى إتجاه جنوبى خط الاستواء ، وهى تشغل مساحة من الأرض تبلغ ٢٦٢ ألف ميل مربع . ولا يسكن هـذه المساحة الشاسعة سوى ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة على وجه التقريب ، وقد يصل عددهم إلى أربعة ملايين أو إلى ثلاثة ملايين ، وعلى أى الأحوال سيجرى أول تعداد رسمى عام ١٩٧٤ . وحوالى ٨٥ ٪ من هؤلاء السكان من البدو الرحل الذين يمتلكون ثروة حيوانية تجعلهم من أغنى بلاد العالم فى هـذا المجال . الشعب الصومالى يعيش إذن فى بلد نصف مجدبة ورغم ذلك فهو قادر على تحمل المشاق والمعيشة فى ظروف قاسية الحرمان . وما زالت القبائل الرحل فى بعض أنحاء الصومال تدلى شعورها فى عقصات منتظمة مفروقة عند الوسط ، وهم قادرون على السير لمسافات طويلة دون الشعور بالإجهاد ، وفى إمكانهم الاستغناء عن الطعام تقريباً والاستعانة بالماء القليل من آن لآخر ، ويمكنهم أن يحيوا على الحليب لمدة طويلة من الزمن . وهم لا يكفون عن الترحال فى داخل البـــلاد بحثاً عن المرعى وينقلون معهم أكواخهم التى يمكن حملها .

ولقد امتص الاستعمار هذا الشعب طوال سنوات حكمه فلم يقم طرقاً ممهدة ولا مبانى صالحة ، ولم يقم أى صناعة باستثناء مصنع واحد لسكر القصب فى مدينة « جوهار » جنوبى مقديشيو ، ولم يهتم الإيطاليون بغير مزارع الموز وما يخدمها ، وتركوا الصوماليين على بداوتهم فى فقر وجهل ومرض .

المجتمع الصومالى ليس مجتمعاً قبلياً فحسب ولـكنه « مجتمع رعوى » وهو لا يعتمد على الزراعة ولـكنه يعتمد على الرعى . وهذه هى المشكلة الأولى التى يجب أن تحلها الثورة مجتمع رعوى متخلف يجب أن تنقله إلى القرن العشرين .

الجمال الاسطورى :

أينما انتقلت فى أنحاء الصومال يروعك الجمال الأسطورى : جمال الطبيعة الساحر ، الأشجار الغريبة والنباتات المختلفة والطيور ذات الألوان الساحرة ، والحيوانات العديدة دونما حاجة منك للانتقال إلى حديقة للحيوانات ، وشواطىء المحيط الهندى الفائقة الجمال والتى لم يستغل معظمها حتى الآن .

لكن تلك الروح الرومانسية لم تلفت نظار الدول الاستعمارية ، بل لفت نظرها أن الصومال أولا وقبل كل شىء رأس جسر ذو أهميـة خارقة بالنسبة لمواقعها العسكرية والاستراتيجية . كان الصومال من وجهة نظر بريطانيا على سبيل المثال مؤخرة مضمونة لعدن التى كانت تلعب دوراً حيوياً فى مراقبة الطريق إلى « شرق السويس » . وقد كتب اللورد ملنر وزير شئون المستعمرات البريطانى والصديق الحميم للاستعمارى سيسيل رودوس فى عام ١٩١٩ يقول :

— « إن فقـد الصومال البريطانى يعنى إضعاف مواقعنا الاستراتيجية فى نقطة حساسة للامبراطورية البريطانية ، ويسفر عن نتائج بعيدة المدى لأثيوبيا وشبه الجزيرة العربية » .

غير أن بريطانيا لم تـكن الدولة الوحيدة صاحبة المطامع فى الصومال ، فـكانت إيطاليا تسعى إلى إلحاق أراضى الصومال المطلة على البحر بارتيريا المحتلة ، ونتيجة لهـذه الأطماع الاستعمارية ظهرت على خريطة المستعمرات « الصومال البريطانى » و « الصومال الإيطالى » و « الصومال الفرنسى » و « الصومال الحبشى » .

وفى تاريخ أفريقيا عشرات الأمثلة على عمليات « البلقنة » (التفتيت والتجزئة) التى مارسها الاستعمار فى طول القارة وعرضها حتى يترك وراءه

المشاكل والعداوات ويبذر بذور التفرقة ، ولكن نموذج « الصومال » هو مثال فريد من نوعه لدراسة هذه الظاهرة : شعب واحد له لغة واحدة هى اللغة الصومالية ودين واحد هو الدين الإسلامى وعادات وتقاليد وثقافة واحدة ، يقسم إلى خمسة أجزاء . فقبل الاستقلال فى يوليه عام ١٩٦٠ كان هناك مايسمى «بالصومال البريطانى» (شمال جمهورية الصومال حالياً) و «الصومال الإيطالى» (جنوب جمهورية الصومال حالياً) اللذين كونا بعد استقلالهما « جمهورية الصومال الديموقراطية » الحالية .. وهناك الصومال الأثيوبى (أوجادين) و « الصومال الكينى » (انفدى) .. و « الصومال الفرنسى » (جيبوتى) إن الوطن الصومالى مازال ممزقاً حتى الآن ، وما زالت ثلاثة أجزاء منه محتلة ، جزءان تحتلهما دولتان عضوان فى « منظمة الوحدة الأفريقية » . وهذه مشكلة المشاكل التى تشعر بها وأنت فى الصومال ويشعر بها المواطن العادى ، حتى أن العلم الصومالى الأزرق يمثل سماء الصومال الزرقاء وفى وسطه نجمة خماسية تمثل أجزاء الوطن الصومالى الخمسة .

وهذه هى السمة الثانية من سمات النضال الصومالى .

استقلال شكلى :

كان الاستقلال الذى أعلن فى أول يوليه عام ١٩٦٠ عبارة عن هيكل عار لبناية لم يعرف أحد تصميمها . وأدت تطورات الأحداث فى مرحلة الاستقلال (١٩٦٠ — ١٩٦٩) إلى تفسخ هذا الاستقلال الشكلى ، الذى كان يرضى رجال السياسة الموالين للغرب . وازدادت الرشوة وازداد الفساد وازداد نشاط الاحتكارات الأجنبية وقاحة . وكانت تشيد فى ذلك البلد الإسلامى كنائس كاثوليكية ثقيلة وغنية بواسطة المستوطنين الإيطاليين ، وكانت تقام فى الشوارع والميادين أقواس النصر بأسلوب روما القديمة ، بلا غرض ولا فائدة

مثل قوس موسوليني في مقديشيو وكانت أموال الخزانة تنهب ، لـكي تبنى على ساحل المحيط الهندي الفيلات الفاخرة .

وخلال الأعوام التالية للاستقلال تبلور الصراع الأساسي داخل الحزب الحاكم نفسه « رابطة الشباب الصومالى » إلى جناحين ، وتطور الصراع الداخلى إلى حد انشقاق بعض أجنحته إلى اليمين المعارض ، وإن كانت قيادة شارماركى تمثل — بشكل عام — الاتجاه الوطنى . ولـكنه لم يستطع أن يقاوم التيار . لقد قام الاستعمار فى فترة ما بعد الاستقلال بمحاولة إنشاء طبقة بورجوازية جديدة من الذين كافحوا لنيل الاستقلال الوطنى للبلاد . وبدأت مرحلة قاسية فى حياة الشعب الصومالى ، فقد أثرت هـذه المجموعة ثراء سريعاً فاحشاً ، واختلسـوا أموال الشعب . وفى النصف الأخير من سنوات الاستقلال العشرة بالذات تـكونت فئة بالفعل — وإن لم تشكل طبقة بالمعنى العلمى للـكلمة — تربت تربية خاصة يتعلم أولادها فى المدارس الأجنبية ، وتتمتع بمزايا خاصة لا يتمتع بها بقية الشعب ، من سيارات وأجهزة تـكييف وحساب جارى فى البنوك الأجنبية وقضاء بعض الأشهر بالخارج . وانعزلت هذه الفئة عن الشعب حتى لقد شـيدت لهـا فيلاتها فى حى خاص فى مقديشيو . ووصلت الفوضى السياسية إلى أقصى حد ، حتى لقد وصل عدد الأحزاب فى الانتخابات الأخيرة — قبل قيام ثورة أكتوبر — إلى ٨٦ حزباً تعتمد على القبلية والعائلية وبعضها على السفارات الأجنبية ، وبمجرد إنتهاء الانتخابات أعلنت معظم هذه الأحزاب إنضمامها إلى الحزب الحاكم للاستفادة السريعة من السلطة والحـكم ، وقتل فى هذه الانتخابات أكثر من خمسين شخصاً ، وفى بعض المقاطعات تم سجن مئات الديموقراطيين والوطنيين حتى لا ينافسـوا ممثلى الحـكومة ، وأطلق سراح المجرمين بتدخل من أعضاء البرلمان . واحتل المحاسيب المناصب العليا رغم أنهم لم يحصلوا على تعليم يذكر وكانت الترقيات للأقارب وأبناء البيوتات . وذهبت

المعونات الخارجية والقروض ، التىوصلت فى سنوات الاستقلال إلى٤٦ مليون جنيه استرليني إلى جيوب الحكام ، حتى لقد أطلق على الصومال إسم « مقبرة القروض الأجنبية » .

كانت تلك السيادة الشكلية تشهر بسمعة الأفريقيين وتقنع العالم بصحة النظريات الاستعمارية القائلة بعجز شعوب القارة عن إدارة شئون بلادها بنفسها. كان واقع الصومال مثلما كان واقع كثير من بلدان القارة الأفريقية الأخرى ، مصدراً يستمد منه ساسة الغرب الاستعماريين الوقائع للبرهنة على أنه « لم يحن الوقت بعد لانتقال هذه البلاد من الصحراء إلى البرلمان » لأنها غير ناضجة ، إذ يمكن أن تتناحر وتحارب بعضها البعض ، فلا بد إذن من الاستعانة « بأصحابها » الأوربيين الاستعماريين السابقين . . .

ولم يعد هناك فى الصومال قانون ولا نظام ، ووصل اغتيال عبد الرشيد شارماركى (١٥ أكتوبر ١٩٦٩) بالفوضى السياسية إلى ذورتها ، وأى فوضى أكثر من أن يغتاله حارسه الخاص ؟ وقبل أن تنتهى جنازته كان أعضاء الحكومة مهتمون بمشاورات تقديم عضو من حزب الأغلبية ليحل محله ، وظل جثمانه يرقد خمسة أيام قبل أن يدفن أخيراً فى ٢٠ أكتوبر .

وعاد الساسة إلى بيوتهم عقب الاجتماع الصاخب ، وبعد اتفاقهم على من يحل محله ، وفى أذهانهم أن تستمر مرحلة الارتباك واليأس والحيرة . بدا الأمر وكأنما غاص رأس المطريات فى ماء عكر وأن الوضع لن يتحسن أبداً ، ودعا الرجعيون الغرب علناً للتدخل وإنقاذ الصومال من الانهيار .

ولكن فى الساعة الثالثة من فجر ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ ، ألقى القبض على كل هؤلاء ، وأعلن راديو مقديشيو فى الساعة السادسة والنصف على أنغام المارشات العسكرية ، « لأن الحكومة لم تقم بدورها وأهملت آمال الأمة ،

فقد تسلم جيش الصومال الوطنى إدارة البلاد » . وهكذا تقدم الجيش لينقذ الموقف بنفسه بدلا من الغرب والدول الاستعمارية .

ولم يكن هـذا انقلاباً تقليدياً مثل تلك الانقلابات الرجعية اليمينية التى اجتاحت أفريقيا ، لم يكن انقلاباً تحركه قوى استعمارية لهذه الدولة أو تلك من دول الغرب ، لقد كان انقلاباً قام به مجموعة من الضباط الوطنيين المخلصين للثورة والصومال .

والحقيقة أن فترة ما بعد الاستقلال هى نموذج لهؤلاء الذين ناضلوا من أجل الاستقلال فى ظل الاستعمار ، وما أن تسلموا مقاليد السلطة حتى بهرتهم فنسوا الجماهير التى طالما تحركوا بها . إن فترة الاستقلال فى الصومال لم تلب مصالح الجماهير وبالتالى فكما هو متوقع بعد إنهاء المرحلة الاستعمارية ، ذهب الاستعمار من الباب ليدخل من النافذة فى ثوب جديد . وهذه الفترة خير نموذج للاستعمار الجديد والثوب الذى يدخل به إلى الأمم المستقلة حديثاً . فلقد استخدم التناحر والقبلية وأوصل الفوضى إلى ذروتها .

وهذه الفترة من سمات تطور الوضع السياسى والاجتماعى فى الصومال .

التيار الاشتراكي :

ومجموعة الضباط التى قامت بثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ تشكل « المجلس الأعلى للثورة الصومالية » وكان يضم آنذاك ٢٥ ضابطاً . ولقد وضح الاتجاه الاشتراكى العلمى لقيادة هـذه المجموعة وعلى رأسها الرئيس سياد برى نفسه منذ الدقيقة الأولى للاستيلاء على السلطة ، وتمثل ذلك بوضوح فى البرنامج الذى قدمه قادة الثورة للقضاء على الفساد الحكومى ومعاداة القبلية والمحسوبية ووضع برنامج إقتصـادى وسياسة خارجية تساند حركات التحرر الوطنى

الأفريقية مادياً ومعنوياً . ولأول مرة تنطلق فى مقديشيو « الرسمية » كلمات الثورة والديمقراطية والاشتراكية . لقد دخل الجيش بذلك مجالا غير مألوف بالنسبة له ، حيث لم يكن بحاجة إلى السلاح والرصاص فى هذه المعركة . . معركة بناء الصومال . لقد كان على الضباط والجنود الذين أوفدوا للعمل فى الوزارات والمصالح أن يتعلموا مكافحة البؤس والمجاعة والأمراض . كان يجب بناء قاعدة لصرح الأمة الصومالية التى انهارت من جراء السلب والنهب ، كان عليهم ملء البناء العارى لبناية الاستقلال بمضمون ملموس حتى لا يستمروا فى طريق أسلافهم ... لقد آن وقت تنظيم الاقتصاد الوطنى .

وتعطى جمهورية الصومال الديموقراطية نموذجاً نادراً لنشأة وتطور دولة ذات سيادة فى أفريقيا من لا شىء وبلا شىء ... لم يكن هناك غير عمل الشعب الصومالى . . . لقد كان على القادة الجدد الإجابة على عديد من الأسئلة التى واجهت كل قادة الدول الأفريقية من قبلهم وسيجيبون عليها من بعدهم وإن كانوا هم يعطون نموذجاً بالغ الدلالة . من الذى يجب أن تعتمد عليه الثورة فى مرحلة التحول لبناء مجتمع متقدم ؟ من الذى يتفهم أمانى ومستقبل الشعب الصومالى على أحسن وجه ؟ .

لقد اتخذ « المجلس الأعلى للثورة » موقفاً ثابتاً غير متردد إذ أعلن عن عزمه على إقامة نظام اجتماعى تقدمى عادل ، وكانت الصحف والمجلات والإذاعة الصومالية لحظة وصولى للصومال تشرح جوهر مبادىء الاشتراكية العلمية .

ومعظم ضباط « المجلس الأعلى للثورة الصومالية » من الشبان ، وهم من العناصر الوطنية والاشتراكية الصلبة ، وقد اشترك عدد منهم فى القيام ببعض حركات قبل الثورة احتجاجاً على السياسة التى كانت تتبعها حكومة « عجال » رئيس وزراء شارماركى . وقد قامت حكومة الثورة بتشكيل وزارة

تضم ١٨ وزيراً ليس فيهم إلا سبعة من « أعضاء المجلس » العسكريين ومعظم الوزراء من المثقفين والتقدميين من ذوى الكفاءات المختلفة وعدد منهم من الملتزمين بالنظرية الماركسية .

وقد ظهر الخط الاشتراكى للثورة بوضوح فى الاحتفال بعيدها الثانى ، حين أعلن ميثاقها الثانى تبنى الاشتراكية العلمية ، هنا ظهرت مقاومة ثلاثة ضباط من المجلس ضد هذا الاتجاه الشعبى ، وحاولوا القيام بانقلاب مضاد صفى تماماً فى الحال وبحزم شديد .

فالجيش — حتى الآن — هو التنظيم الوحيد فى الصومال التى تسير قدماً الآن فى عملية بناء تنظيمها السياسى ، والجيش على رأسه محمد على سمتر نائب الرئيس وهو من العناصر الاشتراكية الملتزمة والواضحة فكرياً والمخلصة للثورة . ونتيجة للتربية الأيديولوجية لضباط الجيش وجنوده ، تحول إلى تنظيم ثورى وإلى خلية من خلايا المجتمع النشطة فى عمليات البناء وفى الدفاع عن الوطن ، وفى نفس الوقت فعناصره ليست على استعداد على الإطلاق للدخول فى أى مؤامرات من هذا النوع .

ولقد دعت الثورة كل المثقفين والمتعلمين والعناصر الثورية والتقدمية والوطنية إلى الاشتراك فى بناء الصومال الجديد ، ومن هنا برزت كل هذه العناصر الواعية كوزراء وكمديرين فى كافة المصالح الحكومية ومؤسسات القطاع الحكومى وشركاته ، فليست هناك حساسية ضد الاشتراكية أو ضد معتنقيها ، وليست هناك تناقضات بين المدنيين أو العسكريين بشكل عام وإن كانت الحساسية من العسكريين لايمكن أن يقضى عليها بين يوم وليلة وهذا طبيعى للغاية ، ولكن العمل المشترك يقضى على كل الحساسيات . لقد انخرط الجميع فى وحدة وتماسك يضعون الخطط لإقامة صرح إقتصادى - اجتماعى

جديد ، حتى تنتقل الصومال من « مجتمع رعوى » إلى مجتمع اشتراكى .

وهذه سمة أخرى من سمات الثورة الصومالية .

العمل الجماهيرى :

وحتى الآن لم يتأسس حزب الثورة الذى تقوم على كوادره واجبات وضع أسس بناء المجتمع الجديد . ورغم ذلك تجتاح الصومال أشكال متعددة من العمل الجماهيرى ، عن طريق عــــدة برامج أبرزها « ساعد نفسك » و « المشروع الطارىء » و « فرق الجولواديال » .

وبرنامج ساعد نفسك ، يعتمد على جهود الجماهير الذاتية وعلى ما ينبثق من قلوبهم من حب للوطن وإيمان بالتقـدم . وفى هرجيسا فى الشمال ، وفى كسمايو فى الجنوب وفى مقديشيو العاصمة ، كان مسئولو « مكتب العلاقات العامة » وحكام المناطق يشرحون لى بفخر وإعزاز ما قام الشعب ببنائه طبقاً لبرنامج « ساعد نفسك » . وبالفعل إن النتائج مذهلة . إن الجماهير لا تـكتفى بالتبرع للعمل بعد أوقات العمل الرسمية ، بل إنها تجمع النقود للمشاريع لبنائها . إنهم يندفعون فى العمل ويتحمسون له لأنهم يعرفون أن الفائدة تعود عليهم وليس على طبقة طفيلية تستولى على ثمار عملهم ، كما استولت الطبقة البورجوازية الجديدة على كل ثمار استقلالهم .

لقد انطلقت طاقات الشعب الصومالى تبنى وتصوغ حياتها بنفسها .

والعمل الجماهيرى سمة أخرى من سمات الثورة الصومالية .

* * *

وحينما نتحدث عن « جمهورية الصومال الديموقراطية » وعن اختيارها لطريق البناء الاشتراكى ومخططاتها للبناء والإنماء ، فلا يمـكننا أن نتجاهل

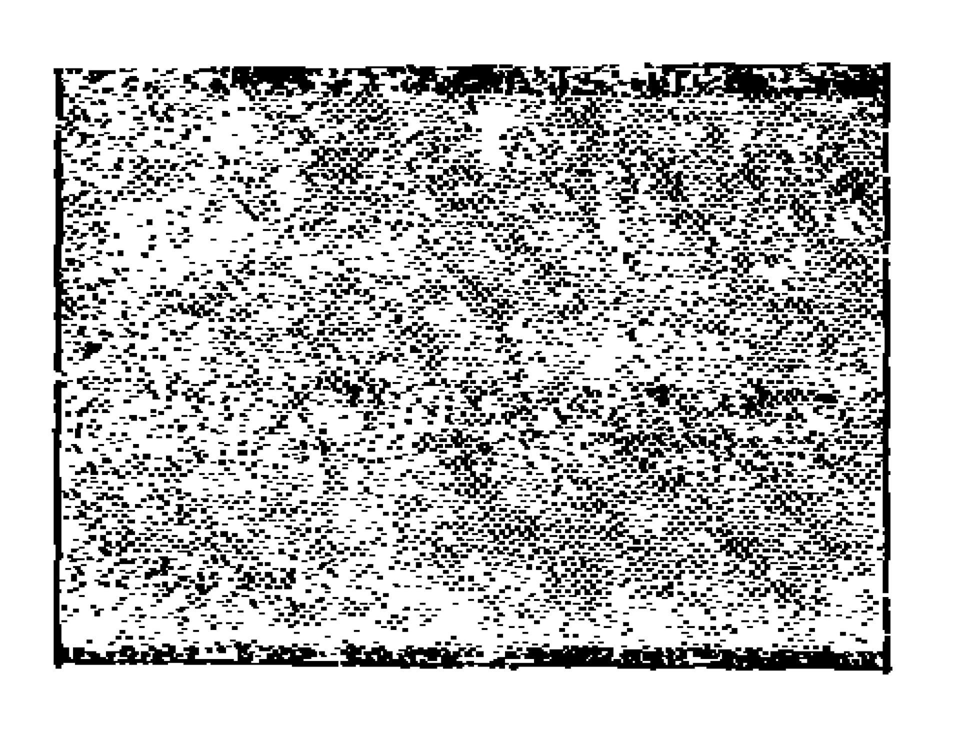
كل هذه السمات التى تحدثت عنها حديثاً سريعاً . لقد وضع قادة الثورة فى اعتبارهم كل هذه السمات التى تميز الصومال والتقاليد التى يتبعها الشعب الصومالى ، عندما اختاروا الاشتراكية ، ولقد كان من الضرورى إبداء الجرأة الثورية الحقيقية والإيمان بالمثل المختارة لتعبئة الشعب وتوجيه البلاد فى مجرى جديد للحياة .

ولا يمكن مواجهة الهجوم الامبريالى الاستعمارى ، كذلك لا يمكن إتمام البناء لرفاهية الشعب الصومالى إلا بواسطة الاشتراكية . والإجراءات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى اتخذتها الثورة الصومالية تجعل «جمهورية الصومال» عاملا من عوامل السياسة الدولية والأفريقية يزداد تأثيره أكثر فأكثر لحل قضايا القارة الأفريقية المرهونة بتطهيرها من الاستعمار والعنصرية .

إن الصومال الفتية تجابه العديد من المشاكل التى خلفها تعرضها للنهب الاستعمارى من جانب القوى الاستعمارية التى اجتمعت عليها لعشرات السنين .

ولقد اختارت الصومال البناء الاشتراكى .

وسأناقش فى هذا الكتاب تجربة الثورة الصومالية وسمات المجتمع الصومالى التى توضع فى الاعتبار عند انتقاله من « مجتمع رعوى » متخلف إلى مجتمع اشتراكى متقدم .



الفصل الأول

الثورة والاشتراكية

« إن الاشتراكية فى المجتمع الصومالى ، لصالح الجماهير العريضة ، لصالح الرعاة ، الفلاحين ، العمال الجنود ، المثقفين ، التجار والعاطلين . إنها ضد المستغلين ، وضد مصالح الاحتكارات الأجنبية وضد كل من اعتادوا الربح الحرام » .

سياد برى

١٩٧٢/١/٣٠

١ — لؤلؤة المحيط الهنـــدى

أخذت الطائرة تحلق فوق مقديشـيو العاصمة استعداداً للهبوط : المنازل معظمها من طابق واحد بيضاء وأسطحها مائلة حمراء . وكانت هذه المنازل فى القرون المـاضية تبدو من بعيد للبحارة وهم يقتربون منها لذلك أطلقوا على المدينة اسم لؤلؤة المحيط الهندى .

وعندما أخذت السيارة طريقها إلى الفندق الذى تقرر أن أقيم فيه ، أخذت أسماء الشوارع تتوالى أمام عينى والمرافق يشرح لى : هذا شارع جمال عبد الناصر وهذا شارع لينين وهذا طريق كمال الدين صلاح وذاك طريق إفريقيا .

هذه إذن هى لؤلؤة المحيط الهندى ... الإسم الذى أطلق منذ زمن قديم على العاصمة التى لا يزيد عدد سكانها الآن عن ربع مليون نسمة . تجمع بين القديم والحديث . جوامع من القرن الثانى عشر وفندق جوبا الذى بناه الأهالى بدلا من الفندق القديم الذى أتت عليه النيران ، وفندق « صليب الجنوب » أحد بقايا الاستعمار الإيطالى ، ومنزل سلطان زنزبار العربى الذى تحول إلى متحف الآن .

مقديشيو عرفها قدماء المصريين قبل حتشبسوت . أما الفرس فقد أطلقوا

عليها إسم « كرسى الشاه » (ماجاد ـ شاه) . وتحدث اليونانيون والصينيون عن سكان مقديشيو « التجار الأصدقاء والصناع المهرة » . ولكن لا أحد يعرف على وجه الدقة متى تأسست المدينة ومن الذى أقامها . كانت علاقات الفرس الواسعة بسكانها هى التى جعلتهم يبنون بها الجوامع مثل جامع عبد العزيز، على الطراز الفارسى والذى ما زال قائماً حتى الآن فى الجزء القديم من المدينة . ومن السهل رؤيته بمنارته الإسطوانية ، وتروى الأساطير الصومالية أن هذا المسجد قد برز من البحر من تلقاء نفسه إذ لا يعرف أحد من الذى شيده . وقد زار مقديشيو الكثير من التجار والبحارة من آسيا الصغرى وجنوب شرق آسيا مثل سيلان (سرى لانكا الآن) وسنغافورة الخ . وعاش عدد منهم فى المدينة وخالط أهلها .

لقد كانت مقديشيو فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر مركزاً عالمياً للتجارة : العاج والعطور والجلود كانت تشحن منها إلى الأسواق العالمية آنذاك • وكانت السوق الأولى والوحيدة فى العالم لتجارة اللبان والبخور .

وزارها الرحالة ابن بطوطه منذ حوالى ٨٠٠ سنة زيارة سريعة ، وجذبته الأسواق المزدحمة المليئة بالبضائع ، ووصف أهلها بأنهم « كرماء وتجار أذكياء » ، وقيل أنه أخذ منها إلى مراكش عينات من الملابس المصنوعة محلياً فى « بنادر » . وظلت مقديشيو وموانى الصومال الأخرى مثل زيلع وبربرة وميركا مشهورة بهذه البضائع . وكان البرتغاليون يبادلون السكان الصوماليين ، خلال دورانهم حول رأس الرجاء الصالح ، ولكنهم كانوا أضعف من أن يستمروا فى هذه التجارة فلجأوا إلى القرصنة . وفى عام ١٥٠٧ استولوا على مدينة براوة وحاولوا الإغارة على مقديشيو ولكنهم فشلوا .

مقديشيو إذن عبارة عن مزيج من المساجد والقصور والمنازل الحديثة ،

ومبانى مكاتب العمل ، والمطاعم ، بالإضافة إلى بيئة مثيرة تحتفظ بتاريخ المدنية ، وهو أقدم تاريخ على ساحل إفريقيا الشرقى .

هناك الحى القديم حمر ـ وين ، وفى قلبه يتوارى سوق الذهب : خواتم وحلقان وعقود وسلاسل ذهبية ودبابيس زينة وأزرار قمصان فى صناعة محلية لها طابع خاص ، على شكل نجمة الصومال وصليب الجنوب أحياناً . وفى حمر ـ وين أيضاً يتم تقطيع الماس بطريقة غير مألوفة من المحتمل أنها طريقة تنفرد بها الصومال . وقد كان هذا الحى هو قلب المدينة القديمة وأول المناطق التى سكنها الناس . وهى اليوم مكتظة بالسكان وممراتها ضيقة وحاراتها تعود إلى العصور القديمة ، إنك تشم فيها رائحة مئات السنين .

ويقوم الغزالون من بنادير بغزل القماش فى هـذا الجزء من المدينة وهم جالسون فى حفر صغيرة فى الأرض فى أحواش صغيرة مفتوحة ، ويستظلون تحت مظلات مؤقتة تحمى رءوسهم من حرارة الشمس .

* * *

لقد شهدت مقديشيو إزدهار وسقوط عدة إمبراطوريات ، إذ دخلها الأجانب باسم التجارة مع أهلها فى بادىء الأمر . ولـكنها أخيراً سقطت فريسة للاستعمار الايطالى ، وكانت شركة بنادر الايطالية لشرق إفريقيا قد حكمت المدينة منذ عام ١٨٩٨ برئاسة كافاليير جويجليون بيستالوزا ، ثم استولت عليها الحـكومة الايطالية عام ١٩٠٥ .

* * *

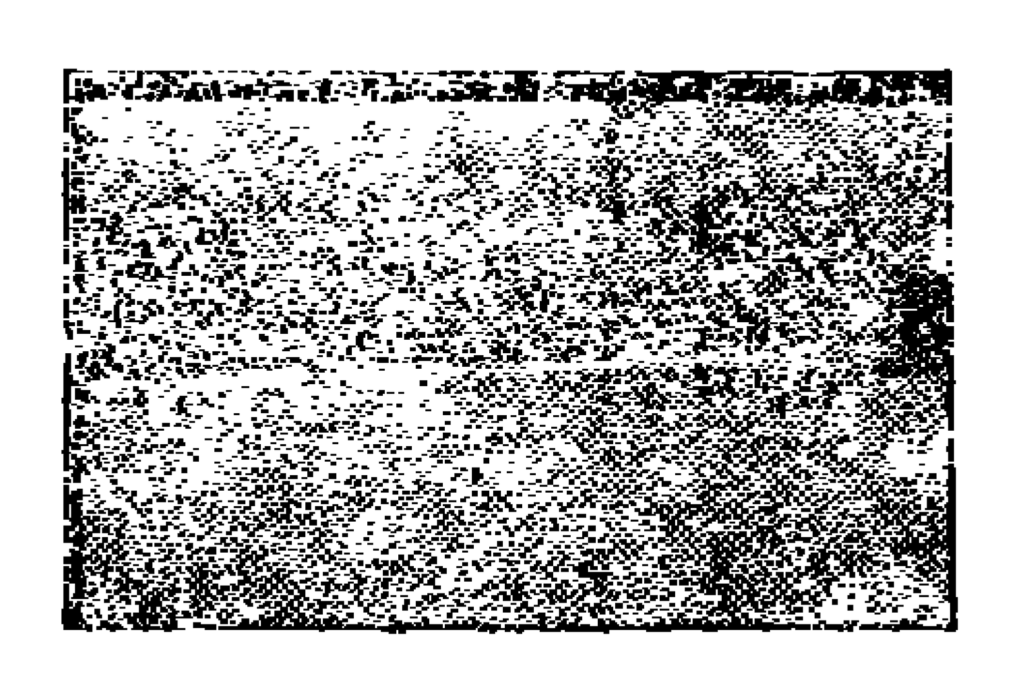
خلال زيارتى للمدينة كنت أسير فى شوارعها الهادئة ، أشاهد شعبها وقد حصل على إستقلاله وهو يبنى الآن حياته الجديدة كما يريد . إن مقديشيو هى نموذج حى لأفريقيا . لا بد وأنت تزورها وتسير فى شوارعها أن تفـكر فى

إزدهار إفريقيا فى قرون ما قبل الاستعمار . ثم مرحلة الاستعمار الذى امتص شعبها وتركه متخلفاً . ولـكن ها هى أفريقيا تنهض ، وها هم سكان أفريقيا يبنون حياتهم من جديد !

ولعل أفضل ما أقدمه الآن هو حديثى مع قائد هذا الشعب جالى محمد سياد برى ، إذ أن هذا الحديث ينقلنا من التاريخ الأسود للاستعمار فى أفريقيا إلى التغيير الثورى الذى يجرى للقضاء عليه وعلى آثاره ، وعلى العراقيل التى خلفها .

كانت مقابلتى للرئيس سياد فى قصر الرئاسة بمقديشيو . كان وقته مشغولا فى اجتماعات متواصلة لمناقشة بعض القضايا فى « مجلس الثورة الصومالية » ، وكانت آخر ليلة لى فى مقديشيو ١٥ نوفمبر ١٩٧٢ فلم يكن هناك بد من إجراء ذلك الحديث وسط الاجتماعات . انتظرت فى إحدى قاعات قصر الرياسة . القاعة بسيطة للغاية ليس فيها من علامات « الثراء » إن أمكن أن نقول هذه الـكلمة ، سوى مروحة كهربائية فى ركن القاعة بجوارى ، فقد كان الجو قائظاً وكنت أتصبب عرقاً ، أما الرئيس سياد فـكان يرتدى قميصاً بنصف كم وبنطلوناً وينتعل صندلا مفتوحاً .

وبدأ هذا الحديث الصريح الذى سجلته هنا كما هو .



٢ — وحديث مع سـياد

قائد الثـــورة

« سنغلق جميع الطرق التى كان المستعمرون يدخلون منها إلى بلادنا ، أو يتدخلون منها فى شئوننا . سنبنى أمة صومالية عظيمة ومتحدة بمتانة ، وقد التحم بعضها ببعض للعيش فى سلام دائم وأمن » .

سـياد برى
من أول خطاب بعد الثورة
٢٤ / ١٠ / ١٩٦٩

— لماذا ثورة ٢١ اكتوبر ١٩٦٩ ؟

بعد الاستقلال لم تتحرك إدارة الدولة فى اتجاه مصالح جماهير الشعب الصومالى ، وكانت النتيجة أن الاستعمار ذهب من الباب ليعود من النافذة ليؤثر فى الأمة ويحرفها ، وهذا هو السبب فى أننا نطلق عليه إسم « الاستعمار الجديد » . ولقد نفذ « الاستعمار الجديد » وشوه المبادىء الدينية والسياسية والإنسانية . وأصبح الفساد شيئاً طبيعياً ، وتاهت العدالة ، وتمكنت المحسوبية من الجهاز الإدارى ، وعادت القبلية بالأساليب العتيقة ، وتهدد الأمان بالنسبة للجميع ، وساد الإقتتال القبلى والقتل الفردى حتى لقد وصلت الفوضى إلى حد أن

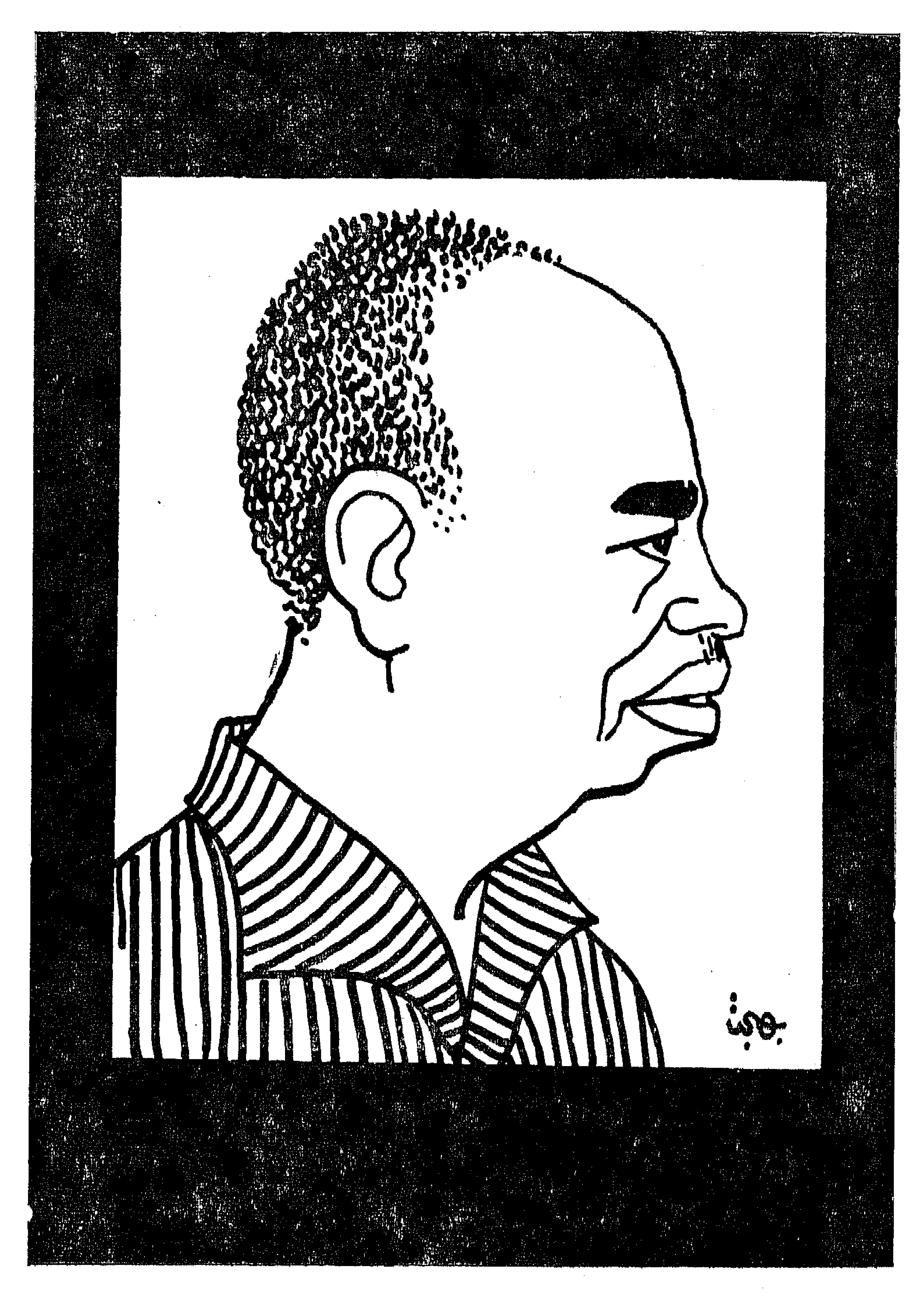
الرئيس عبد الرشيد شارماركى قتله حارسه الخاص . وقد خلق هذا وضعاً جعل البلد كله فى حالة بالغة من الفوضى وسارت نحو مصيبة أكيدة ، حتى لقد كدنا نقول أن وضع الصومال كدولة قد انتهى . ولما وصل الأمر إلى هذا الحد ، تقدم الجيش تحت إمرتى للاستيلاء على السلطة لاستعادة كرامة الشعب الصومالى وحقوقه التى فقدها . والحقيقة أن هذه بعض الأسباب وليست كلها .

— جالى سياد لماذا اخترتم الاشتراكية العلمية ؟

لقد تبنينا الاشتراكية العلمية لمصلحة شعبنا ونحن ، لم نتبن الاشتراكية العلمية « كما هى » فى الدول التى تبنتها ، ولكننا « نطبقها » بشكل مختلف . لقد أخذنا بالاشتراكية العلمية من أجل عدالة اجتماعية أفضل ، وحياة أفضل ، وصحة أفضل ، باختصار من أجل كل شىء أفضل للبشرية ، ونحن نكافح بطبيعة الحال للوصول إلى هذا .

والصومال شعب وأرض . إن أرضنا غنية جداً ، غنية بثروتها الحيوانية وغنية ببحارها التى تصل شواطئها إلى ثلاث آلاف كيلو متر ، وغنية بثروتها النباتية ، وغنية بثروتها المعدنية رغم أنها لم تستغل حتى الآن .

ولم يكن هناك من طريق آخر سوى توحيد قوى شعبنا ومواجهة أعدائنا مرة واحدة بالاعتماد على أنفسنا . لم يكن هنا من طريق سوى الاشتراكية . فمن ناحية النظم السياسية ليس هناك سوى نظامين : الرأسمالية والاشتراكية ، وليس هناك طريق ثالث . ولقد عشنا الرأسمالية من قبل ولم نجن منها سوى الفقر وعدم الأمانة والتناقضات فيما بيننا ، ولذا فقد رفضناها لأننا خبرناها . وتبنينا الاشتراكية لأنها النظام السياسى الذى يفيدنا فى إنجاز العدالة الاجتماعية ، وحياة أفضل .



جالی محمد سیاد بری

وإذا كان بلدنا غنياً فشعبنا فقير ينتشر فيه الجهل والمرض . وليس هناك من طريق للتغلب على هؤلاء الأعداء سوى توحيد قوانا ضـد أعدائنا ورسم خطة لمحاربتهم ، ولم يكن هناك أفضل من الاشتراكية لإنجاز هذه الخطة .

— لو قلنا أن الدين هو إحـــدى سمات الطريق الصومالى إلى الاشتراكية ، فما هى السمات الأخرى لانتقال المجتمع الصومالى من مجتمع رعوى إلى مجتمع اشتراكى ؟

مجتمعنا الرعوى مشـكلة بطبيعة الحال ، ولـكنها مشـكلة نعرف كيف نعالجها طالمـا نعرف شعبنا ، ونعرف احتياجاتنا ، ونعرف المصاعب التى نواجهها . وسيستغرق ذلك وقتاً بطبيعة الحال . ولـكننا نعى الوقت الذى نحتاجه والمصاعب الذى سنلاقيها ، ولـكننا مصممين على حل المشاكل ، المشـكلة تلو الأخرى بواقعية وبحذر ، فهى ليست معضلة بالنسبة لنـا . ولقد بدأنا بالفعل خطة زراعية مع أهلنا الرعاة ، فى محاولة لاستقرارهم تدريجياً . إنها بالنسبة لنـا مسألة وقت ومسألة إمكانيات . ونحن بطبيعة الحال نحاول أن نسرع بشـكل ديناميكى ، ولـكنك — على آية حال — لا يمـكنك أن تجرى إلا على قدر طاقتك ، وعلى قدر ما تسمح به إمكانياتك . أما بالنسبة للوسائل فإننا سنواجه هذه المشاكل بإمكانياتنا ، ونحن لانهتم بما لدينا . وفى ثلاث سنوات حلت كثير من المشاكل ، وليس معنى هذا أننا قانعون وراضون ، ولـكن يمـكننا أن نقول أننا نجحنا فى التجربة التى دخلناها . والمسألة الآن أن نستمر ، وإننى لعلى ثقة من قدرتنا على الاستمرار والنجاح .

— إن أساس نجاح التجربة الاشتراكية هى بناء الحزب . ولقد ناقشت أعضاء مكتب العلاقات العامة فى كل مكان فى الصومال فى هذا الموضوع .

لقد نسى الأصدقاء الذين قابلتهم يا أخى شيئاً هاماً : إن عندنا حزباً ، لدينا القوات المسلحة : إنها الحزب ، إنها النواة التى نبدأ بها . ذلك أن قواتنا المسلحة من الشعب ، من البروليتاريا ، إنهم ليسوا من أى طبقة غنية . ولقد تدربوا على خدمة الجماهير أينما كانت ، العمل من أجلهم وبينهم . والقوات المسلحة منظمة وقد تعلمت مبادىء الاشتراكية العلمية . ولذا أقول لدينا الأساس . إننى لا يمكن بقانون أن أقول أن هناك حزباً ، ولكننا لدينا فى الحقيقة حزب .

أما ما هو معروف باسم الحزب فى جميع دول العالم ، فسيكون لدينا حزب ، ونحن ننوى أن نخلق هذا الحزب ، أعضاؤه من الوطنيين الأمناء المخلصين ، الذين هم على استعداد لأن يواجهوا معنا المصاعب ، وأن يخلقوا مجتمعاً اشتراكياً صحيحاً ولن نسمح للرجعيين أن يخدعونا برفع رايات حمراء كما تقول ، ليدخلوا أمعائنا من الداخل . كلا ! نحن لن نقبل هذا . إن لدينا الوقت الكافى «لفرز» الوطنيين من الخونة ، التقدميين من الرجعيين . ولا داعى للعجلة على الإطلاق لأننا نكون الحزب : قاعدة البناء . ونحن نعتمد الآن على القوات المسلحة المنظمة تنظيما حسناً ، وعلى الشباب ، تلك الفئة المتوثبة الصحية ، وعلى العمال وعلى الفلاحين وعلى النساء . إننا نعتمد بالفعل الآن على كل هؤلاء . ولا يحتاج الأمر منى سوى الإعلان . إننا بعد ثلاث سنوات من الثورة نعرف الكوادر والناس الذين سنقبلهم فى حزب المستقبل ونعرف الذين لن نقبلهم ، لأن ثلاث سنوات كافية لنعرف الألوان والولاءات واللغات وتغيير الأوجه .

— فى كافة التجارب يكون القائد شاباً مع الآخرين . ولكننا فى تجربة الثورة الصومالية نجد جالى سياد أكبر الثوار سناً وأكثرهم تقدماً . لماذا ؟

تأسست قواتنا المسلحة فى عام ١٩٦٠ حين حصلنا على الاستقلال ، وكل أفرادها من الجماهير الشعبية . ولقد كنت بين مؤسسى الجيش وقائده منذ البداية . كنا نعى تماماً واقع بلدنا وما يمر به شعبنا ، ولذا فقد تربت قواتنا المسلحة على الشعور بالمسئولية والاستعداد لإنقاذ شعبنا . أما أنا — كإنسان عادى — فأنتمى لهذه الجماهير ، ولقد أحببت العدالة دائماً ... العدالة الكاملة . والعدالة الكاملة لا توجد فى التطبيق إلا فى مبادىء الاشتراكية العلمية ، وليس فى الرأسمالية حيث توجد الطبقات ! ولذا فإننى بطبيعتى أكره الظلم وسيطرة الإنسان على أخيه الإنسان بسبب وضعه أو بسبب ماله وهذه تأتى كلها أصلا من النظام الطبقى . هكذا كان وعى الوطنى كإنسان عادى عاش بين شعبه طوال الوقت .

ومن الطبيعى أن يعيش البعض فى الدولة حياة بورجوازية ، ونحن لدينا بطبيعة الحال بعض هذه النماذج ، ولكننا نحاول أن نعلمهم : أما هؤلاء الذين لن يستجيبوا للتعليم فليعيشوا حياتهم وليتركوا العمل الإدارى . لقد حاول هؤلاء البورجوازيون الرجعيون بمساعدة الاستعماريين والإمبرياليين لعدة سنوات ، أن يحرفوا خطنا الاشتراكى إلى اشتراكية مزيفة ، ولكنهم لم ينجحوا فى هذا ، ولن ينجحوا . إن اشتراكيتنا ستكون صافية علمية غير جامدة ، وتتمشى مع مصالح جماهيرنا .

— إذا كنا نتحدث عن البورجوازية وعن الجماهير ، فما هى القوى الثورية وما هى قوى الثورة المضادة ؟ وما مدى قوتهما فى المجتمع الصومالى ؟ ما مدى قوة الرجعية واليمين ؟

إن لدينا البورجوازية ، كما ذكرت سابقاً ، ولـكنها — بطبيعة الحال — تود أن ترى الفوضى تعم الصومال ، فلندعهم فى أحلامهم ، أما نحن فلن نهتم إلا بالجماهير . والبورجوازية هنا ليس لديها أية قوة ، إنها أسد بدون مخالب أو أنياب ، إنهم يجلسون على المقاهى ويتحدثون عن المـاضى وأمجاده ... فليتحدثوا كما يشاءون ، فليس لدينا مشاكل من هذه الناحية ، ففى أى ثورة ، وعند أى تحول جذرى ، هناك دائماً رجعيون ، وعليك أن تقبل هذا النوع . ولـكننى أقول أنه ليست لهم قوة فى مجتمعنا !

— وماذا عن القوى الثورية ... فرق الجولواديال مثلا ؟

أعتقد أننـا خلقنا القوى الـكافية لردع أى مؤامرة رجعية أو استعمارية أو إمبريالية . ورغم ذلك لايمكننا أن نقول أن « كل شى تمام » وكل شىء على ما يرام . ولـكن إذا ما أردنا أن نقول الحقيقة ، إذن فالحقيقة أن قوى قوية للغاية قد تـكونت فى الشعب الصومالى . وأننى لراضٍ بروح المسئولية للجماهير الصومالية أينما كانت ، لقد استجابت لندائنا ، وهى تشـكل حياتها بنفسها ، ولن تفيد أى شعارات رجعية ، ولن يفيدنا الاعتماد على الغير ، إن عرقهم وروح العمل الجماعى هى القادرة على أن تعطيهم حياة أفضل . لقد تقبل الجميـع هذا كله والشعب يتحرك للأمام .

٣ — الاشتراكية التى نؤمن بها ..

ما هى الاشتراكية التى يؤمنون بها فى الصومال ؟

لعل أوضح ما نقدمه عنها هو ما قاله ويقوله قائد الثورة سياد برى . إن حديثه عن الاشتراكية واضح تمام الوضوح . وأول هذه الخطب وأشهرها كانت فى مدرسة الشهيد حلنى . واختيار هذه المدرسة بالذات له مغزى . فقد أنشأها الإيطاليون قبل فترة وجيزة من بداية الحرب الإيطالية الحبشية عام ١٩٣٥ لكى تكون مركزاً عسكرياً . فقد كانت هى قسم النقل الميكانيكى . وأطلقوا عليها إسم بوتيكو تحدياً للشعور الوطنى ، وكان بوتيكو هذا ضابطاً إيطالياً غزا الصومال وسام أهلها العذاب . وفى عام ١٩٦٤ بعد الاستقلال اعتدت أثيوبيا على حدود الصومال فهب الصوماليون يدافعون عن أراضيهم واستشهد الضابط حلنى فى هذا التاريخ دفاعاً عن تراب وطنه .. لذلك أعلنت الثورة عام ١٩٧٢ إطلاق إسمه على هذه المدرسة التى تحولت إلى « مدرسة كادر » لتربية الكوادر الوطنية ، ومن هذه المدرسة انطلق صوت الثورة يعلن شعاراتها ويعلن الاشتراكية العلمية .

وهذا هو تفسير الرئيس محمد سياد برى للاشتراكية التى يؤمنون بها .

* * *

« إنى لعلى ثقة أنكم تعلمون تماماً إن ثورة ٢١ اكتوبر قد بدأت فور قيامها واجب تصفية المفهوم القديم للمصالح الشخصية والقبلية ، ذلك المفهوم الذى كان يقوم عليه النظام السابق للحكومة فى بلدنا . وتعلمون أيضاً حقيقة أن ثورة ٢١ اكتوبر قد حققت بنجاح — منذ البداية — استيلاءها على السلطة السياسية لصالح الجماهير ، ذلك أن السلطة يجب أن تنتمى للجماهير . إن الثورة تمثل الإرادة الجماعية وطموح كل الشعب الصومالى الذى خانته كل النظم السابقة فى رحلة الاستقلال . لقد طعنت هذه النظم من الخلف التنمية الاجتماعية والاقتصادية لهذا البلد منذ عام ١٩٦٠ » .

« وآمل أن تكونوا على دراية بالمصاعب والنواقص والمعاناة والتوترات السياسية التى واجهتها ثورتنا فى هذه الفترة القصيرة منذ ميلادها ، كما أنتم على علم بالأيام السعيدة والمناسبات التى مرت بها . إن الحياة نضال مستمر تجاهد فيها الشعوب من أجل حياة أفضل ضد كثير من الصعاب . وبالنسبة لأصحاب الأهداف والمبادىء الواضحة التى توجههم نحو إنجاز حياة أفضل ، فإن العقاب والمصاعب لا يمكن أن تقف حجر عثرة فى طريقهم . ونحن لسنا قدريين ، ولكننا موضوعيين نحلل مسار التاريخ بشكل صحيح . ولذا فإننا نعتقد أن قانون المتناقضات هو القوة الدافعة لتطور الطبيعة والمجتمع الإنسانى . إننا نعتقد إننا نستطيع التغلب على العقبات التى تقف فى طريقنا بتحليلها تحليلاً علمياً وابتكار الحلول الصحيحة .

وأنتم تعلمون أن القرارات السياسية التى اتخذناها والإيديولوجية التى تبنيناها لتنمية بلدنا اجتماعياً واقتصادياً ، قمينة بأن تعمق أكثر التناقضات السائدة فى مجتمعنا ، وينمى هذا من وعينا الطبقى ويبلوره ، وهذا معناه أن القوى المنتجة الأكثر استغلالاً فى أمتنا ينمو وعيها السياسى والإيديولوجى بموقعها ، وتصبح بالتالى سادة بلدنا » .

اشتراكيتنا : الاشتراكية العلمية :

« وأود أن أبين بوضوح اليوم إفلاس الدعاية الاستعمارية البورجوازية التى تهدف تضليل الجماهير البريئة ، ومساعدة الرجعيين فى مراميهم المريضة لحجب الحقيقة عن الجماهير العريضة ، بتزوير المبادىء الحقيقية للاشتراكية . إن واجب الاشتراكيين هو مواجهة هذا التزييف بنشر مبادىء الإيديولوجية الاشتراكية على الجماهير لإبراز الإنجازات التى خلقوها بأيديهم .

« إن أعداء الاشتراكية يبحثون باستمرار عن الثغرات لوضع العقبات أمام عجلة التطور التاريخى للمجتمع . ولكنهم فى هذا ... فشلوا . إننا لا نعنى فى قليل أو كثير بهذه المهاترات التى يتقول بها أعداؤنا فى الداخل والخارج عن الاشتراكية العلمية .

« إننا نريد أن نعلنها هنا . . والآن . . أن اشتراكيتنا هى الاشتراكية العلمية وليست اليوتوبية التجريدية . إنها الاشتراكية التى كافح قادتها الأوائل ، من أجل تطبيقها وإغنائها ، لتأسيس مجتمع يقوم على الفرص المتكافئة ، والعدالة الاجتماعية والتقدم ، وتحرير الطبقات العاملة تحريراً كاملا من قيود عصابة الأقلية الرأسمالية ، حتى تأخذ الأغلبية بأيديها تطورها المقبل من أجل صالح المجتمع كله .

« إن الاشتراكية علم ، ولذا — مثلها مثل كل العلوم — فليس لها خصائص قومية ، ليس لها حدود قومية أو انتماءات قبلية . إنها من أجل المصلحة المشتركة لكل البشرية » .

« وليس هناك اشتراكية أخرى . إنها الاشتراكية العلمية تلك التى انبنت عليها المبادىء الإيديولوجية للدول الاشتراكية الطليعة وصناعاتها واقتصادها ،

وعلمها وتكنولوجيتها ، وتقدمها الاجتماعى . وهذه الاشتراكية العلمية يمكن تطبيقها فى كل بلد طبقاً لما يسود فيها من ظروف ، وطبقاً لقوانينها وثقافتها ومستوى تعليمها والتقاليد التى ينبنى عليها تركيبها الاجتماعى . كل هذه العوامل يجب أن توضع فى الاعتبار حتى تطبق بنجاح فى كل بلد » .

« والاشتراكية لا يمكن أن تصدر من بلد إلى بلد ، ولا يمكن لأى بلد أن يفعل هذا ، لأن كل بلد يختلف عن الآخر بهذا الشكل أو ذاك » .

« إن كل بلد له خصائصه ، له قانونه الخاص ، ومناخه ، واقتصاده ، ويفكر شعبه بطريقة خاصـــة ، وهكذا . ولذا فمن المستحيل لأى بلد أن « يستورد » أسلوب تفكير وثقافة بلد آخر . وإذا ما حدث هذا — وهو مستحيل الحدوث — فمن المستحيل للاشتراكية أن تضرب بجذورها ، إنه شىء غير منطقى ، كما أنه غير عملى » .

وطالما أننا تبنينا الاشتراكية العلمية هنا فى الصومال ، كنظام اجتماعى واقتصادى ، فإننا يجب أن نطبق أفكارها بصراحة وبشكل خلاق ، إننا يجب ألا نتبع الطريق الذى شقه لنا الامبرياليون بأى حال ، كدولة رأسمالية قبل أن نحصل على إستقلالنا ونخون أنفسنا والأجيال المقبلة فى الصومال . إننا يجب ألا نساوم على إيديولوجيتنا تحت أى ظروف ، ففى الوقت الحالى ، يتمتع حوالى ثلثا العالم بثمار الاشتراكية العلمية بغض النظر عن الظروف البيئية التى كانت سائدة فى كل دولة عند بداية شقها للطريق الاشتراكى . إنه لمن العبث أن نكون جامدين لتفوتنا قافلة التقدم الإنسانى .

— الاشتراكية العلمية ، والايديولوجية الرأسمالية :

« تختلف الثورة الاشتراكية عن كل الثورات الاجتماعية الأخرى . ذلك أن

المبدأ الأساسى الذى تعتمد عليه هو المبدأ الصحيح ، فهى تمنح الحقوق الإنسانية بأن تعطى كل ذى حق حقه وتمكن كل شخص من تنمية قدراته العقلية إلى درجة ممكنة . لقد ثبت أنها تستمد قوتها من الخبرة التاريخية لتطور البشرية ومن أسسها العلمية اللازمة لهـا ، وهى بذلك أقوى بكثير من الإيديولوجية الامبريالية ، بغض النظار عن قوة الأخيرة ودهائها .

« إن الإيديولوجية الإمبريالية فارغة من أى قيم إنسانية نبيلة . فالقانون الأساسى للرأسمالية هو استغلال الإنسان للانسان ، وطبقات اجتماعية مسحوقة وأخرى ظالمة ، والبقاء للأصلح ، والأصل النبيل . كل هـذه الأشياء القبيحة هى ظواهر الرأسمالية التى ترفضها الطبيعة البشرية ، وهـذا هو السبب فى أن الإيديولوجية الرأسمالية ليس لها مستقبل » .

« وعلى العكس فإن الاشتراكية تعتمد على المساواة بين بنى البشر ، وعلى التعايش السلمى ، وعلى الحرية ، وعلى التوزيع العادل للثروة ، وعلى القيادة الجماعية ، وعلى الديمقراطية المركزية .

« وهذا هو السبب فى تفوق الايديولوجية الاشتراكية على الايديولوجية الرأسمالية المتحللة » .

— عن الاشتراكية العلمية ، والجمود العقائدى :

« والحقيقة إن الجمود العقائدى ضد القوانين والمبادئ العلمية . إنه يسد تطور الفكر الإنسانى لأنه ينكر منطق التحليل العلمى ، وهو بالتالى يقلص القدرة البشرية عن التحكم فى قوى الطبيعة من أجل مصلحته ومن أجل تحسين ظروف معيشته .

« وهو سلاح فى يد رجل الدين المزيف ، الذى ينكر — بشكل عام — على الشخص أن يؤمن ويتعلم دينه بالمنطق ، وهو بالمثل سلاح الرجعيين ضد الفكر التقدمى للبشرية . فبالنسبة لهم ، إما أن تأخذ المسائل كما هى ، وإما أنك خاطئ ! كيف يمكن أن يصبح الإنسان مسلماً إذا منع من المناقشة » .

« وبنفس الطريقة ، هناك هؤلاء الذين يأخذون موقف رجال الدين المزيفين من مبادئ الاشتراكية العلمية . إنهم هؤلاء الذين يريدوننا أن نؤمن بأن الاشتراكية العلمية فلسفة جامدة ، وهذا ضد روح هذه الايديولوجية النبيلة تماماً .

« إنهم ينظرون إلى الاشتراكية العلمية كما ينظرون إلى الإيمان الأورثوذكسى . كيف يمكن للانسان أن يوفق بين النظرية العلمية وبين الجمود العقائدى الذى يصفونها به . إن الجمود العقائدى والعلم لايتقابلان أبداً ، إنهما مثل الماء والزيت لايختلطان » .

« إننا نقول أن هؤلاء يخونون كل ما كافح الاشتراكيون من أجله . إننا نؤمن بتطور الاشتراكية العلمية المستمر ، وإغناؤها . أن النظرية العلمية معرضة للتحليل والفحص والتحسين والتطوير اللازم لصالح الإنسانية ، طالما أن كل هذا يتمشى مع أسس القوانين العامة للاشتراكية العلمية » .

« إن هؤلاء الجامدين عقائدياً يصممون على تفسير الاشتراكية العلمية طبقاً لحالة واحدة تنطبق على ظروف معينة . إنهم يريدون تجميد ديناميه الاشتراكية على هذه الحالة وتعميمها لتلائم الظروف المختلفة والمستويات المختلفة من تطور البشرية . أما نظرية الاشتراكية العلمية فإنه عند تطبيقها فى مجتمعات معينة فيجب أن نأخذ فى اعتبارنا ظروف البيئة ومستوى تطور هذا المجتمع المعين .

بل إن لينين نفسه هو الذى قال « إن الاشتراكى الذى لايفهم الظروف الاجتماعية السائدة فهو لايعرف أبجدية النظرية الاشتراكية » .

« هكذا تحدث لينين . لذا يجب أن نعتبر الجامدين والذين يثيرون البلبلة مثل الامبرياليين والرجعيين تماماً ، هؤلاء الذين هدفهم الوحيد هو حرفنا عن طريقنا الذى نحاول به أن نبنى حياة أفضل لشعبنا على أساس مبادىء الاعتماد على الذات .

لقد وضع ماركس وانجلز أسس نظرية الاشتراكية الماركسية ، ولكن الفكر الإنسانى تطور تطوراً كبيراً منذ ذلك الوقت ، فشارك مفكرون عديدون فى إثبات صحة النظرية الاشتراكية وأغنوها بفكرهم . وبنفس الطريقة فإن كل دولة اشتراكية قد ساهمت فى ذلك بتطبيق الاشتراكية حسب ظروف كل منها .

« وكان الدين أحد الأسلحة التى استخدمت فى هذه المواجهة الاجتماعية والاقتصادية . ولكن السؤال هو من استخدم مثل هذا السلاح القوى ؟ لقد كان رجال الكنيسة هم الذين لهم علاقات قوية برجال الدولة الرأسماليين .

« أما عندنا فالدين ليس أداة استغلال أو سيطرة لطبقة على طبقة . إن ديننا هو دين الجميع ، إنه دين المساواة والعدالة . ولذا فإننا عند تطبيق الاشتراكية العلمية على ظروفنا الخاصة ، لا يمكن أن ننكر وجوده . وهذا مثال حى على الاشتراكية العلمية الخلاقة عند تطبيقها ، على عكس المؤمنين بها من الجامدين العقائديين » .

الفصل الثالث

بلاد بونت

« إن المصاعب التى تواجه شعوبنا هى من صنع الإمبرياليين الذين لايفكرون إلا فى مصالحهم وليس من أجل مصالح الشعوب الأفريقية . إنهم الذين استعمرونا من قبل وحين حققنا استقلالنا أخذوا يبحثون بكل السبل عن طرق اقتصادية وسياسية لاستغلالنا لنظل معتمدين عليهم أو نظل باستمرار أقل منهم » .

سياد برى

١٨ / ١٠ / ١٩٧٠

لعبت الصومال دوراً كبيراً فى الحركة التجارية والحضارية مع دول العالم المتحضر فى العصور القديمة ، ولعل المثال الذى يجب أن نقدمه هنا هو العلاقات مع مصر القديمة ، ومنها أيضاً يمكننا أن نتبين عمق العلاقات المصرية الصومالية ، وقد « بدأت الصلات بين مصر والصومال منــذ ذلك العصر البعيد ، حين هاجرت موجات من الجنس الحامى إلى قارة أفريقيا قادمة من آسيا ، عبر بوغاز باب المندب الذى كان فى ذلك العصر السحيق أرضاً يابسة . وقد استقرت بعض جماعات من هـذا الجنس فى منطقة القرن الأفريقى (الصومال) واستوطنته ، بينما تابعت جماعات أخرى هجرتها نحو الشمال وحطت رحالها فى جنوب مصر ، ويعرف أفراد هذه الجماعات الأخيرة فى علم الأجناس بالحاميين الشماليين ، وقد تركوا آثار حضارتهم فى الآلات الحجرية التى تنتمى لعصر ما قبل الأسرات المصرية[1] » . وقد عرفت الجماعات التى استوطنت القرن الأفريقى باسم الحاميين الجنوبيين وهؤلاء هم أسلاف الصوماليين . ولعل هذه الرابطة القديمة هى السبب فى الإعتقاد الذى كان سائداً لدى قدماء المصريين بأن بلاد الصومال هى موطنهم الأصلى .

ومنذ بداية العصر الفرعونى كانت بلاد بونت معروفة وأطلق عليها إسم

---

(١) الدكتور ابراهيم زرقانة .

« الأراضى المقدسة » ، أرض الإله ، حيث كان فى اعتقادهم أن الإله رع يظهر فى يوم على أرض بلاد الصومال ، كما عرفت بأنها بلاد البخور والعطور والأشجار الثمينة وغيرها مما يحتاجون إليه فى بناء معابدهم .

ومن الثابت أن المصريين كانت لهم صلة بالصومال منذ عصر الدولة القديمة بعد أن عرفوا ركوب البحر . وأقدم مخطوط واضح عن العلاقات المصرية الصومالية يرجع إلى عهد الملك « ساحورع » الملك الثانى فى الأسرة الخامسة (٢٧٦٣ — ٢٦٦٠ ق . م) الذى وصله من الصومال « ٨٠ ألف مكيال من العطور وكمية من المعادن والأخشاب الثمينة » . وإلى هذا العهد نفسه نجد نقشاً على عامود فى المتحف المصرى عثر عليه فى أبيدوس ، ويذكر هذا النقش خبر إحضار قزم من بلاد الصومال . ومن آثار مصر فى عهد الدولة القديمة كان هناك قزم يدعى سنب يحمل لقب الحارس الأكبر لكافة البعثات الملكية . ويرى علماء مصر القديمة أن هذا القزم لابد أنه قادم من بلاد الصومال لأن منطقة الأقزام ما زالت بقاياها فى تنجانيقا إلى جنوب بحيرة نياسا ، وكان جلب الأقزام إلى قصور مصر الملكية عملاً دينياً ، إذ يعتبر ملوك مصر أنفسهم أبناء الإله رع الذى يظهر أول ما يظهر كل يوم على أرض بلاد الصومال ، وكان الأفضل أن يقوم الأقزام على حفظ أمتعة الملك المقدسة . وإذا تعذر ذلك كان يختار صومالياً ليحل فى القصر الملكى كأمين للقصر ، ولذا كان شعار المصرى القديم « ليث فى بيتى صومالياً » شعار الأمانة والشهامة .

والواقع أن البخور واللبان والمر كانت أهم أهداف البعثات المصرية إلى الصومال ، فالبخور كانت له أهمية كبرى كعنصر أساسى فى الطقوس الدينية ، إذ كان يحرق فى معابد الآلهة ومعابد الملوك ومقابر الموتى ، كذلك كانت هذه المواد تدخل فى كثير من العقاقير الطبية وخاصة تلك التى كانت تستخدم

فى عمليات التحنيط التى اشتهرت بها مصر الفرعونية . ولكن على مر الزمن لم يصبح البخور واللبان المر هما السلع الوحيدة ، بل كان المصريون يستوردون من « بونت » العاج والأبنوس وجلود الحيوان ، إلى جانب الحيوانات الحية من فهود ونسانيس وقردة .

وكانت بلاد « بونت » مرتعاً خصباً لخيال الفنان المصرى ، والدليل على ذلك تلك الصور والرسوم التى نقشت على جدران معبد حتشبسوت (١٤٩٠ ق.م) المعروف باسم معبد الدير البحرى ، والذى يوجد فى البحر الغربى بمدينة الأقصر . وما زالت هذه الصور بألوانها الزاهية ورسومها الدقيقة تحكى قصة تلك البعثة الشهيرة التجارية التى أرسلتها الملكة إلى الصومال . وقد دون الفنان كل التفاصيل بروعة ودقة حتى يمكننا أن ندرس من خلالها حياة سكان الصومال آنذاك ومساكنهم وملابسهم ، وكذلك السلع التى أخذها المصريون منهم للمبادلة ، بل ودوّن الفنان حديث حاكم الصومال مع البعثة المصرية ، بل لقد دون الفنان حتى أنواع الأسماك والأحياء المائية التى شاهدوها مثل الاستاكوزا والسلحفاة المائية وأسماك المحيط الهندى . والواقع أن هذه الرسوم تعد أروع وأبدع صورة لرحلة بحرية عرفها العالم القديم .

وامتدت العلاقات المصرية التجارية لما بعد الصومال ، ولكن أقوى العلاقات ظلت مع الصومال . وكان لهذا تأثيره الواضح فى الملامح الثقافية واللغوية ، فما زالت بعض الكلمات فى اللغة الصومالية تشبه مثيلاتها فى اللغة المصرية القديمة ، بل ونرى تأثير ذلك واضحاً فى الاحتفالات والأعياد الشعبية الصومالية ، فهناك عيد فرعون (عيد رأس السنة) وعيد أسن (اللعب بالعصى) وهو يشبه تلك اللعبة فى مصر القديمة والتحطيب فى ريفنا المصرى اليوم .

واستمرت العلاقات هكذا حتى جاء عصر محمد على . هنا ارتبطت العلاقات

المصرية الصومالية بتاريخ مشترك أدت إلى ماتلا ذلك من أحداث فى العصر الاستعمارى .

الصومال والعرب :

ارتبطت الصومال ببلاد العرب منذ القدم ارتباطاً قائماً على التجارة ووحدة الأصول الجنسية وتشابه البيئة المعيشية ، ودعم هذا سهولة الاتصال البحرى . ولقد شهد خليج عدن والبحر الأحمر قيام حضارات عربية فى جنوب شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام بعدة قرون ، ولقد جاء وقت كان الصومال فيه جزءاً من إمبراطورية تجارية عربية كبرى تضم جنوب شبة الجزيرة العربية وساحل خليج عدن وجزءاً من الساحل الشرقى لأفريقيا . وكان الصومال يساهم بنشاط فى هذه الإمبراطورية التجارية بمنتجاته التى اشتهر بها من قديم الزمان (اللبان والبخور والعاج) .

وكانت اليمن تمثل نقطة تلاقى الطرق التجارية العالمية التى تربط دول جنوب شرقى آسيا بدول البحر الأبيض . ومن نقطة التلاقى هذه تخرج السفن اليمنية إلى موانى الصومال وخاصة ميناء زيلع ، أكبر موانى الصومال آنذاك ، حاملة إليها توابل الهند وجواهر سيلان وقرنفل وحرير الصين ومسك ملبار ومنسوجات مصر وأقمشتها الموشاة بالذهب . وكان عرب الجنوب من اليمنيين والحضارمة والعمانيين هم الذين يمثلون عمق الرباط التجارى والحضرى بين الصومال ودول العالم القديم . وفى أسواق الصومال وخاصة فى الشمال وفى مقديشيو تجد أن المحلات التجارية يمتلكها اليوم الباكستانيين واليمنيين أساساً ، وتجد محلات تحمل أسماء عربية مثل « نصف عدن » الخ .

ومن الصعب تحديد تاريخ الاستقرارات العربيـــة الأولى على ساحل

الصومال ، إذ كانت مستمرة منذ القدم ، ولكن تزايد الحركة التجارية بشكل عام كان يصاحبه تزايد فى الهجرات العربية واستقرارات فى الموانى التجارية الصومالية . ثم جاءت فترات الحروب الدينية والمذهبية فى بلاد العرب حتى ظهور الإسلام وانتشاره ، فتزايدت الهجرة العربية إلى سواحل الصومال ، حتى لقد ظهرت جاليات عربية كبيرة فى زيلع ، وبربرة ، وغردفوى ، ومقديشيو وبراوة ومركة . وكانت آخر هذه الهجرات ماحدث عام ١٩٢٤ حينما وصل بحارة عرب إلى جزيرة سوقطرة بعـــد غرق سفنهم بالقرب من علولة ، وقام الصوماليون بإنقاذهم فطابت لهم الحياة على ساحل مجرتنيا وعملوا فى صيد الأسماك وأقاموا قرية أسموها سوقطرة قرب علولة .

ومن السهل الحصول على أخبار الرحالة والمؤرخين العرب الذين جابوا بلاد الصومال وتحدثوا ، عنها وأشهرهم ياقوت الحموى والمسعودى والأدريسى وابن بطوطة والقلقشندى والمقريزى وغيرهم . وقد وصف ابن بطوطة فى « تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » مدينة مقديشيو ونظم الحكم فى الصومال والمجتمع وعاداته وتقاليده فى هذه الفترة .

وكانت الصومال أسبق من أى دولة أفريقية أو أسيوية فى استقبال الدعوة الإسلامية . ومن المرجح أن الصومال عرفت الإسلام فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، حينما خرج جعفر بن أبى طالب من مكة إلى الحبشة لنشر الدعوة الإسلامية ، وفى طريقه أسس مراكز للدعوة فى إريتريا والصومال بمساعدة الجاليات العربية التى استوطنت تلك الجهات ، وكان ذلك قبل الهجرة من مكة إلى المدينة بنحو ثمانى سنوات ، فكانت الصومال أسبق إلى الإسلام من المدينة ، ومن ثم فلا عجب إذا وجدنا أن الصوماليين صاروا فيما بعد من أكبر المتحمسين لنشر الدعوة الإسلامية وأصبحت البلاد إسلامية خالصة .

وأيضاً بعد مقتل على بن أبى طالب اضطر بعض الشيعة إلى الرحيل والهجرة إلى الصومال .

وكان من نتيجة هذا كله أن أصبح كل سكان الصومال من المسلمين . إذ لا يوجد يهود صوماليين على الإطلاق ، بينما يوجد بعض المسيحيين ، من اليتامى أو اللقطاء الذين تولت تربيتهم الإرساليات التبشيرية أو من الأطفال المولدين من أمهات صوماليات وآباء إيطاليين فى فترة الاستعمار الإيطالى . وحتى اليوم فإن الصوماليين هم الشعب الوحيد الذى أصبح كله مسلماً فى شرق أفريقيا ، ولقد أدى هذا إلى تعاون عربى — صومالى فى نشر الإسلام فى أنحاء كثيرة من شرق أفريقيا ، وارتبط العرب والصاماليون منذ ذلك الحين بروابط ثقافية ودينية واقتصادية .

كذلك قامت فى الصومال دويلات ودول إسلامية قويه . وفى القرن الثالث عشر الميلادى زار المقريزى الصومال وكتب يقول أن دولة « أودال » شديدة البأس تقوم فى « زيلع » ويحكمها إمام متحضر ، وكانت هناك دول أخرى مستقلة أصغر حجماً ويحكم كل منها إمام مستقل لمدة قرون ، وكلما توفى أحد الأئمة ، ورث إبنه الإمامة عنه . ويقول المقريزى كذلك أن مملكة « زيلع » حكمت « هرر » منذ زمن بعيد وأن حكمها لهـا مستمر منذ عدة قرون[1] ؟ !

وخلال القرنين الخامس عشر . والسادس عشر قامت سلطنات إسلامية قوية الجانب فى أماكن مختلفة من أراضى الصومال . وقامت سلطنة أودال وعاصمتها زيلع كما ذكرنا بصدد المعتدين من البرتغاليين وملوك الحبشة . لقد تعرض الصومال لغزو برتغالى اختفى وراء الدعوة المسيحية ، وكان ينشد

(١) حسين فهمى : فى بلاد البونت ـ الأخبار ـ اليوميات ١٩٧٣/٩/٢٧ .

الإستيلاء على الصومال وشرق أفريقيا كله ، ولكن الشعب الصومالى هب بقيادة بطله الوطنى أحمد بن ابراهيم المعروف باسم «أحمد جورى» أى أحمد الأشول ، يدافع عن أراضيه . ونظم أحمد جورى قواته العسكرية ضد البرتغاليين والأثيوبيين فيما بين عامى ١٥٢٨ و ١٥٣٥ . وبعد معارك طاحنة استولى فيها على أراضى شاسعة من أثيوبيا ، يقتل النجاشى ويهزم البرتغاليين الذين كان يقودهم شقيق «فاسكو دى جاما» . وتأتى نجدات برتغالية لنجدة أثيوبيا ويقتل أحمد جورى عام ١٥٤٢ م .

وخلال مرحلة المد الاستعمارى على القارة الأفريقية ، يقع الشعب الصومالى تحت أسوأ أنواع التقسيم الاستعمارى والاستغلال البشع ، ففى بداية القرن يتقسم الشعب الصومالى والأراضى الصومالية إلى الصومال البريطانى ، والصومالى البريطانى ، والصومال الفرنسى والصومال الايطالى والصومال الأثيوبى والصومال الكينى (الآن) . وكان هذا جزءاً من تقسيم أفريقيا بين القوى الاستعمارية الكبرى فى مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ .

فى هذه المرحلة كانت الصناعة الأوربية قد وصلت إلى مرحلة من التطور يمكن معها أن تستوعب العمال العاطلين ، وكانت الدول الأوربية فى حاجة إلى المواد الخام اللازمة للتقدم الصناعى . وبدأت الهجرة إلى المستعمرات عبر البحار تحت أعلام الدول الاستعمارية كحل للمشاكل المتراكمة هناك ، وبذلك أصبح هناك عالم واحد ونظام واحد فى جميع أنحاء الكرة الأرضية : دول استعمارية فى جانب تستغل دولا وشعوباً من الجانب الآخر .

وهكذا ففى عام ١٨٨٩ «اشترت» إيطاليا شاطئ بنادر من سلطان زنجبار ، أما المنطقة الشمالية التى عرفت باسم «الصومال البريطانى» فقد أعلنت محمية بريطانية بعد توقيع اتفاقيات مع شيوخ الصومال فى عام ١٨٢٧ ثم بعد

ذلك من ١٨٣١ وحتى ١٨٨٦ . ولكن «الحكومة البريطانية» خانت مصالح الشعب الصومالى بتوقيعها اتفاقية مع أثيوبيا عام ١٨٧٩ نقلت بموجبها جزءا كبيرا من الأراضى الصومالية إلى أثيوبيا دون استشارة الشعب الصومالى وحتى دون علمه[1] !

ولم تتوقف مقاومة الشعب الصومالى ضد الحكم الاستعمارى ، بل كانت تتزايد يوماً بعد يوم . فقد جوبه الاستعماريون بحركة تحرر وطنى عاصفة قادها السيد محمد عبد الله حسن بطل الصومال الوطنى . وانبثقت دولة صومالية وطنية فى المناطق الداخلية من الصومال فى بداية الحرب العالمية الأولى . ونجح محمد عبد الله حسن فى بناء تنظيم عسكرى وسياسى متكامل . وبدأ تنظيم اقتصادى يتشكل على المستوى القومى ، ولم يتوقف تطور هذه الدولة الصومالية الفتية إلا بعد الهجوم البريطانى العاتى جوا وبرا فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وتعرضت قلاع « جيش التحرير الصومالى » فى « طليح » لضربات قاسية . ولقد قلص هذا من قوة حركة التحرر الوطنى ونموها ، ولكنه لم يقض عليها . فقد استمرت الأعمال المعادية للامبريالية فى جميع أنحاء الصومال .

لقد أنشأ السيد محمد عبد الله حسن حركة قوية للدراويش لتحرير بلاده من الاستعمار وكان الانجليز يسمونه مولى الصومال المجنون ، وحاولوا طمس هذا التاريخ العظيم للشعب الصومالى . ولكن هذه الحرب التحريرية دارت لمدة عشرين عاماً ... واليوم فإن قصة عظيمة من قصص الكفاح الأفريقى على وشك التسجيل . فقد تشكلت بعثة تاريخية صومالية — سوفييتية لتقصى حقائق هذه الفترة . وتحدث أعضاء البعثة مع آلاف الأشخاص ودرسوا

(1) Brief theoritcal outline of 1st october Revolution : Historical background of the Revolution. p. 2o, 27.

العديد من الوثائق . لقد كانت ثورة الدراويش التي قادها محمد عبد الله حسن حلقة من سلسلة الحلقات المرتبطة بالكفاح التحريرى للشعب الصومالى ضد المستعمرين . وخلال هذا الصراع الطويل ، اكتسب الشعب الصومالى خبرة سياسية هامة كان لها دور مهم فى إنجازات ثورة اكتوبر . فكفاح الشعب الصومالى ضد القبلية الآن له مثيل فى حرب الدراويش . فقد سعى عبد الله حسن إلى إقامة دولة صومالية وطنية متحدة ، فحارب القبلية ونعراتها ، وعمل من أجل وحدة الشعب الصومالى فى وجه الغزو الامبريالى ، وبدأ هذا يتحقق عندما وحّد آلاف الصوماليين من مختلف القبائل تحت لواء الدراويش . ولقد كان لحركة الدراويش خصائص دينيـة واضحة ، ولكنها اتخذت تدريجياً وبصورة مباشرة نهج حركة التحرير الوطنية المعادية للامبريالية والاستعمار . ولقد فاز محمد عبد الله حسن رسمياً بالسيطرة المعترف بها على جزء من شمال الصومال — معاهدة اليج عام ١٩٠٥ — ولم يستطع الامبرياليون فى ذلك الوقت التغلب عليه سواء بالمؤامرات السرية أو بالتحالف مع قوى أخرى من الشعب الصومالى من وراء ظهره ، ومن الواضح أنه لم يكن من الممكن أن يتنازلوا هذا التنازل ، لو كانوا قد نجحوا فى حملاتهم العسكرية المتوالية ضد الدراويش . لقد نجح عبد الله حسن فى تنظيم جيش قوى واستطاع أن يحصل له على المؤن والذخائر . وكان عبقرياً فى بناء الحصون والقلاع التى شيدت تحت إرشاداته المباشرة وطبقاً لتصميماته . وكانت أساليبه وخططه فى الحروب المتنقلة غير واضحة لضباط الاستعمار البريطانى . وبالإضافة إلى كل هذه المواهب كان يمتلك موهبة فذة فى الخطابة وكان شاعراً عظيما . لم تكن مناشداته لجنوده مجرد شرارة من الحماس المتوقد (كما اعترفت بذلك الكتب الغربية) فحسب ، بل كانت صادرة عن تفكير عميق ، مشحونة بنـداءات إيديولوجية عالية للشعب

الصومالى الذى كان يكافح ضد النير الاستعمارى[1] .

واضطر البريطانيون للقضاء على حركة التحرر بقيادة عبد الله حسن إلى نقل قوات إلى الصومال من نياسالاند (مالاوى الآن) وكينيا والسودان . وفى نفس الوقت ساعدتهم القوات الإيطالية والأثيوبيـة لمنع الحركة من أن تنتشر إلى أجزاء أخرى من الصومال . وقد تراجعت الحركة وانتهت عام ١٩٢٠ . ولـكن لم تستطع كل القوات الاستعمارية أن تجد عبد الله حسن الذى مات ميتة طبيعية ودفن فى ليماى بالصومال الغربى (الآن تحت الحـكم الأثيوبى) . وقد هزمت حركة الدراويش بسبب التفوق التـكنولوجى والعسكرى من جانب الجيوش الاستعمارية .

وخلال الحرب العالمية الثانيـة ، عندما هزمت قوات الحلفاء ، القوات الايطالية فى شرقى أفريقيا عام ١٩٤١ ، وقعت أراضى الصومال كلها فى قبضة الحـكم البريطانى ، باستثناء « الصـومال الفرنسى » . وكان على مستقبل المستعمرات الايطالية السـابقة أن يتقرر بعد نهاية الحرب . كانت بريطانيا تنوى أن تضع جميع أراضى الصومال تحت حمايتها ، ولـكن بضغط من القوى الـكبرى اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحـدة قراراً فى نوفمبر ١٩٤٩ بوضع « الصومال الايطالى » السابق تحت وصاية إيطاليا لمدة عشر سنوات على أن تمنح استقلالها عام ١٩٦٠ .

وشهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، تبلور قوى طبقية جديدة فى الصومال. لقد بدأت طبقة بورجوازية محلية فى النمو وإن كانت طبقة ضئيلة الحجم

---

(١) مجلة العهد الجديد (واجا عسب) العـدد رقم ٥ — مارس ١٩٧٢ — قصة عظيمة على وشك التسجيل .

وفى المجال التجارى أساساً . وكان عدد العمال فى الصناعات والنقل والبناء محدوداً أيضاً . وكان العمال الزراعيون يشكلون غالبية العمال الأجورين خاصة فى مزارع الموز فى الجنوب وفى مزارع قصب السكر فى جوهار وفى مصنع السكر ذاته .

واتسم حكم إيطاليا الفاشستية للصومال بطابع القسوة والشدة والإرهاب ، فحرمت تشكيل الأحزاب السياسية . وساعد انهيار الحكم الإيطالى على ظهور الحركة الوطنية ، إذ أنه أثناء الاحتلال العسكرى البريطانى ، سمح بتشكيل الأحزاب السياسية لأول مرة فى تاريخ الصومال ، وبدأ ظهورها عام ١٩٤٣ بنشأة حزب وحدة الشباب الصومالى فى مقديشيو ، ثم قامت عدة أحزاب أخرى . فلما عادت إيطاليا إلى الصومال ، تبين لها أن أغلب الأحزاب القائمة معادٍ لها ، فبدأت هى الأخرى تكون أحزاباً موالية لها[1] ، ولقد قاد « رابطة الشباب الصومالى » الكفاح الوطنى بعد أن ضم التجار والحرفيين والمثقفين إلى عضويته . ولقد حاولت إيطاليا الاحتفاظ بالصومال فى قبضتها ولكنها إزاء مقاومة الجماهير الصومالية بقيادة هذا الحزب ، والدور الذى لعبه مندوب مصر فى المجلس الاستشارى التابع للأمم المتحدة ، اضطرت إلى تغيير تكتيكاتها . وحاولت الدول الاستعمارية بشتى الطرق إبعاد كمال الدين صلاح مندوب مصر والحد من الدور المخلص المتفانى الذى يلعبه ، ولم تجد بداً من اغتياله فى ١٧ مارس ١٩٥٧ أمام قنصلية مصر فى مقديشيو ، وما زال هذا الشارع يحمل إسمه حتى الآن . وكان أن لعبت الإدارة الإيطالية دورها لخلق عملائها المحليين حتى يستمر دورها ... بعد أن تخرج .

---

(١) الصومال : تأليف محمد عبد المنعم يونس — دار النهضة العربية — السياسة والأحزاب السياسية — صفحة ١٦٤ .

واشتد الكفاح السياسى للشعب الصومالى من أجل الحصول على استقلاله ، وحصلت الأراضى التى كانت تحت الوصاية الإيطالية على حكمها الذاتى . ودفع هذا الانتصار بحركة التحرر الصومالية فى المستعمرتين البريطانية والفرنسية . وفى عام ١٩٥٧ أنشئ مجلس تنفيذى يرأسه الحاكم البريطانى وإن كان أعضاؤه يعينهم الحاكم البريطانى بنفسه . وطالب الحزبان الوطنيان اللذان كانا يقودان حركة التحرر فى المحمية ، بالاستقلال المباشر والوحدة مع المنطقة تحت الوصاية . واستمر النضال من أجل التحرر فى « الصومال الفرنسى » وظهرت عدة أحزاب سياسية على المسرح السياسى ، كان أقواها حزب الحركة الشعبية بقيادة محمد حربى ، وحتى توقف فرنسا تطور هذا الكفاح ، أعلنت فى عام ١٩٥٨ دستوراً جديداً حفظت به « الصومال الفرنسى » داخل « المجموعة الفرنسية » فيما وراء البحار ، مع معظم الدول الأفريقية الأخرى التى كانت تحت السيطرة الاستعمارية الفرنسية .

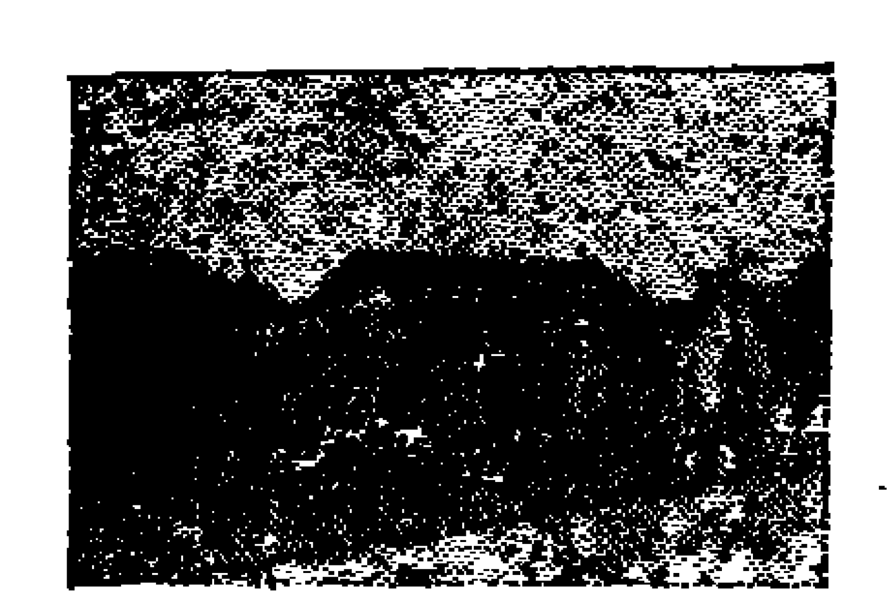
وأعلن استقلال «الصومال البريطانى» فى ٢٦ يونيه ١٩٦٠ ، «والصومال الإيطالى» فى أول يوليه ١٩٦٠ ، وسرعان ما أعلنا وحدتهما تحت إسم جمهورية الصومال . ودخل الشعب الصومالى فى مرحلة الاستقلال السياسى ، وإن كانت ما زالت أجزاء من أراضيه تحت الحكم الفرنسى والكينى والأثيوبى ، ولكنه لن يهدأ وما زال يناضل حتى يرفرف على جميع أراضيه العلم الأزرق الذى ترصعه نجمة اكتوبر البيضاء !

أخذ حزب رابطة الشـــباب الصومالى السلطة التى قبع فيها ممثلو البورجوازية ، إلى جانب المجموعات الكومبرادورية التى تعاونت مع الاستعمار الجديد ، لأنها كانت تخشى الحركة الجماهيرية أكبر خشية ، ولم تكن تنظر إلا إلى مصلحتها الأنانية الضيقة . وكانت هذه المجموعات البورجوازية

تتصارع صراعاً سياسياً مريراً أدى إلى سيادة القبلية والمحسوبية والرشوة والفساد ، وأخذت الصفوة الحاكمة تزداد ثراء على حساب الجماهير التى ناضلت وضحت لتستوى تلك المجموعات على ثمار كفاحها .

لقد مرت البورجوازية بمراحل تكونها الأولى كطبقة تحت النظام الاستعمارى وخلال مرحلة الاستقلال ، من هنا ذلك الصراع المرير بين مجموعاتها المتفرقة للتأثير فى جهاز الدولة واستخدامه كوسيلة لتثبيت أقدامها . وقد أدى هذا إلى التطاحن للحصول على الصفقات الحكومية وللحصول على عمليات التجارة الخارجية ذات التسهيلات حيث تمكن رجال الأعمال من الكسب السريع ، ولم يأنف الموظفون الذين خرجت هذه العمليات من تحت أيديهم ، عن قبول « الهدايا » والرشاوى . ولقد ولّد هذا « التراكم الابتدائى » الأبوى المغلف بالمحاباة وبالصلات العائلية والقبلية العشائرية ، مصادمات دموية مريرة بين التجمعات التى كانت تستنفر قبائلها وعشائرها . ومن المفهوم أن أجنة الرأسمالية التى تتمخض عن ذلك كله توصم منذ البداية بملامح مشوهة ، أما سيطرة الوصوليين والانتهازيين الذين أثروا دون حياء على حساب جهاز الدولة ، فقد أفقدته القدرة على خدمة المصالح الوطنية العامة .

ولكن هذا التكالب على الثروات هو الذى أدى إلى نهاية السير فى الطريق الرأسمالى ، ذلك الطريق الذى كان مسدوداً أمام الصومال ولم يكن من الممكن أن يحل مشاكل شعبه .



الفصل الثالث

حول الثورة

ومرحلة

الثورة الوطنية الديموقراطية

« القضاء على الجوع والمرض والجهل ... هؤلاء هم أعداء كل بلد ناشئ في العالم والقضاء عليهم ليس بالأمر الهين ، إن ذلك يحتاج إلى الصبر ورزانة العقل والعمل الشاق وتضحيات عظيمة كثيرة من هؤلاء الذين يريدون أن يروا نهاية للجوع والمرض والجهل » .

سياد برى

١٦ / ١ / ١٩٧٠

بمجرد هبوطى من الطائرة فى مقديشيو ، بدأت أسمع عن « مكتب العلاقات العامة » ، وفى كل مكان ذهبت إليه كنت ألمس نشاطه . وتحول إسم هذا المكتب الآن إلى « المكتب السياسى » ويتبع رئاسة الجمهورية مباشرة . وكان لى أحاديث طويلة مع أعضاء المكتب سواء فى العاصمة أو فى كل المدن التى زرتها فى الشمال والجنوب . فى هرجيسا شاهدت تخريج فوج من فرق الجولواديال ، واشتركت فى المساء مع الجماهير فى نقل الحجارة ، وكانت الجماهير تغنى وتنشد الأغانى الوطنية بحماس .

والمكتب السياسى هو نواة الحزب الجماهيرى .

كيف بدأ ؟

فى اجتماع ضم سكرتير المكتب الرائد محمد عمر ومجموعة من رفاقه أعضاء المكتب ، دارت مناقشة واسعة فى النظرية وفى العمل الجماهيرى .

لقد أنشىء مكتب العلاقات العامة بعد قيام الثورة بأسبوع واحد فقط ، هدفه آنئذ كان أن يوصل بين الجماهير والقيادة الثورية ، وبعد سنة أعلنت الثورة الميثاق الثانى أى تبنيها للاشتراكية العلمية ، فأصبح هو المسئول عن نشر هذه الإيديولوجية إلى جانب تعبئة الجماهير وتوجيهها من خلال ثلاث أشكال ، هى « برنامج ساعد نفسك » وفرق برنامج الطوارئ وفرق الجولواديال (أى طلائع النصر) .

وقد بدأ المكتب نشاطه بأن فتح المجال لكل العناصر الثورية والتقدمية للانتساب إليه ، وتم تشكيله على النحو التالى :

١ ـ القسم الإيديولوجى
٢ ـ قسم العمال
٣ ـ قسم الشباب
٤ ـ قسم المرأة
٥ ـ القسم الإدارى
٦ ـ قسم طلائع النصر
٧ ـ العلاقات الخارجية
٨ ـ التعبئة الجماهيرية

ويشكل رؤساء هذه الأقسام مع سكرتير المكتب (محمد عمر) الهيئة الإدارية . والمكتب تابع مباشرة للمجلس الأعلى للثورة ورئيسه هو جالى سياد رئيس المجلس الأعلى ، ويعتبر المكتب حلقة الوصل بين مجلس الثورة والجماهير .

ولأن الثورة حلت جميع المنظمات والنوادى . فقد بدأ المكتب عملياً من الصفر فى عملية بناء المنظمات الجماهيرية . وسار فى خطين متوازيين :

الأول : فى الأحياء ، وذلك بتقسيم كل مدينة إلى عدة أحياء . العاصمة مقديشيو بها ١٣ قسما . وفى كل قسم مركز للارشاد القومى ثم لجان متخصصة متفرعة من اللجان الرئيسية (عمال ـ شباب ـ مرأة ـ جولواديال الخ) وتتفرع هذه الأحياء واللجان إلى فروع أصغر لدرجة أن فى بعض الأحياء عشرة لجان صغيرة ، وهذا النظام موجود فى كافة المدن والقرى .

الثانى : إنشاء مكتب فى كل وزارة ومصنع ومزرعة به لجان أيضاً كما فى الأحياء .

ومعظم كوادر المكتب السياسى من العناصر الثورية الملتزمة بالاشتراكية العلمية ، وتختار دفعات للدراسة النظرية فى الإتحاد السوفييتى وبقية الدول

الاشتراكية ، وعند عودتها تتحمل مسئولية العمل الجماهيرى والإيديولوجى .

ويصدر المكتب الآن مجلة « الاشتراكية » التى توزع حوالى ٢٠ ألف نسخة .

* * *

ما هو مفهوم الثورة فى رأى قادة المكتب السياسى ؟

عرفت المجتمعات الإنسانية الثورة ، كظاهرة ، منذ فجر التاريخ . واستخدمت دائماً كأداة لتغيير العلاقات الاجتماعية ـ الاقتصادية القائمة ، بواسطة جماهير الشعب العامل الواسعة التى تتعارض مصالحها مع هذه العلاقات ، والذين يأملون فى تأسيس نظام جديد .

والثورة ظاهرة تاريخية ، وهى مرتبطة على الدوام بالتطور التاريخى للمجتمع ، لذا فهى ذات أهمية خاصة فى المجتمع الطبقى عند ما تشن الطبقات المقهورة نضالا لا هوادة فيه ضد مضطهديهم الذين يسيطرون على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع . والهدف النهائى لهذه الطبقات الثورية كان دائماً تحطيم أسلوب الإنتاج السائد ليحل محله أسلوباً أكثر ملاءمة لمصلحة طبقتهم .

ولقد أدى نجاح الثورة الاشتراكية فى جزء كبير من الكرة الأرضية ، إلى إمكانية أن تعبر الدول المستقلة حديثاً والتى عانت من الاستعمار والقهر ، تعبر مرحلة الرأسمالية ، إلى طريق تطور غير رأسمالى للتطور نحو الثورة الاشتراكية .

●

النظرية هى دراسة موضوعية للحقيقة المادية والتاريخية لمجتمع بشرى

بطريقة واعية ، إنها تتطلب دراسة صورة وشروط تحول هذا المجتمع إلى آفاق أفضل من خلال تحقيق هدف محدد . وهذه الدراسة تتطلب بالتالى معرفة مضبوطة لواقع هذا المجتمع .

ولما كانت النظرية تعبر عن مصالح طبقه أو مجتمع أو مجموعة من الطبقات أو المجتمعات ، فلا بد وأن تكون لكل مجتمع نظريته . وتختلف النظريات طبقاً لاختلاف المجتمعات والبيئات . أنها استراتيجية فى هدفها النهائى . ومن هنا فإن التغيرات الانتقالية تكتيكية ليس أكثر . ولا يمكن أن نخلط بين الاستراتيجى والتكتيكى . فالانتقالى إن هو إلا جزءاً من النهائى وليس هو الكل ، والهدف الإنتقالى لا يمكن أن يتناقض مع الهدف النهائى وإلا كان هذا خيانة للنظرية ذاتها .

والميثاق الأول هو نموذج لخبرة الثورة الصومالية . إن الميثاق يقول أن سياسة الثورة هى خلق مجتمع يعتمد على السيادة الشعبية والمساواة والعدالة الاجتماعية : هذا هو الهدف النهائى ، أى استراتيجية ثورة اكتوبر الصومالية . ويتحقق هذا الهدف بتطبيق الاشتراكية العلمية فى الصومال . ومن هنا كان تطبيق الاشتراكية العلمية هو النظرية الايديولوجية التى تتحقق بها العدالة الاجتماعية للمجتمع الصومالى .

وزيادة على ذلك يجب أن نفرق بين الأهداف الانتقالية والأهداف النهائية ، ويجب ألا نخلط بينهما وألا نتعلق بهدف انتقالى على أنه هدف نهائى . فهذا إنكار للواقع ويؤدى بنا إلى الفشل الذريع .

وليس هناك ثورة بدون نظرية ثورية .

والثورة يجب أن تستجيب لمطالب الأغلبية التى تمثلها الثورة والحزب ،

وإلا عزلت الثورة عن الجماهير وأصابها الفشل . والميثاق الأول والميثاق الثانى اللذان قدمتهما ثورة اكتوبر يمثلان مطالب الجماهير العاملة المسحوقة .

ومعنى الاشتراكية العلمية هنا ؛ هو تغيير أساليب الانتاج من الملكية الخاصة إلى الملكية الجماعية . وتأمين العمل والتعليم والعلاج والتأمين الاجتماعى لكل فرد فى المجتمع على أساس الفرد من أجل الجميع ، والجميع من أجل الفرد .

ويجب أن تسود الروح الجماعية بالبعد عن الأنانية والفردية .

مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية

يقول قادة « المكتب السياسى » أن المجتمعات المتخلفة مثل المجتمع الصومالى ، يجب أن تمر بمرحلة « تحضيرية » ، هى مرحلة « الثورة الوطنية الديموقراطية » وهى فى طريقها نحو الاشتراكية .

ما هى سمات هذه المرحلة التى تمر بها الصومال الآن ؟ وما هى الإجراءات التى تتخذ خلالها ؟

نعنى بالثورة الوطنية الديموقراطية . تخطى التطور الرأسمالى ، وبمعنى آخر وضع أسس الاتجاه الاشتراكى ، وهى مرحلة ضرورية بالنسبة للدول التى لم تضع أساساً حقيقياً للاقتصاد الرأسمالى ، ولكنها ذات سمات إقتصادية واجتماعية وثقافية سابقة على التطور الرأسمالى وذات تطور رأسمالى بدائى ، وحيث عجزت البورجوازية الوطنية عن إحداث أى تقدم إقتصادى ، من الواضح أن على هذه البلاد أن تقتصر من طريقها نحو الإشتراكية ، بتخطى مرحلة الرأسمالية وتحقيق مرحلة الثورة الديموقراطية .

فمن الملاحظ فى عصرنا هذا المتسم بالتقدم السريع ، أن التطور البطىء معناه الإبقاء على التأخر ، فإذا اتبعت البلاد المستقلة حديثاً أساليب التطور الرأسمالى فإنها لن تصل إلى المستوى الاقتصادى المتطور إلا بعد عشرات السنين ، ولن تختزل هذه الفترة إلا بتطبيق نظام اجتماعى اقتصـــادى متطور وتقدمى . فالرأسمالية كنظام اجتماعى قد دخلت بالفعل مرحلة أفولها . إنها عاجزة بصفة عامة ، عن تحقيق معدلات التطور التى يكفى ارتفاعها لضمان تحول سريع من التخلف إلى التقدم . كذلك لا تستطيع الرأسمالية أن تحل مشكلة العمالة ، لأن التطور الرأسمالى يخدم مصالح مجموعة محدودة نسبياً ، وهو يستطيع أن يحقق شيئاً من التقدم فى قطاعات فردية فى الاقتصاد الوطنى ، لـكنه لا يستطيع أن يكفل ذلك المستوى المعيشى لجمهور العاملين .

ويرينا التاريخ أنه إذا فهم شعب بلد ما قوانين التطور الاجتماعى ، لاستطاع أن يختزل ويقلل آلام المخاض التى تصاحب النظام الاجتماعى الجديد الأرقى . ومع ذلك فإن انتقال البلدان المتخلفة إلى نظام اجتماعى أرقى — دون المراحل الوسيطة لا يمـكن أن يتحقق إلا إذا استنفدت هذه المراحل الوسيطة إمكانياتها التقدمية ، وتطورت العلاقات الاجتماعية الجديدة الأكثر تقدماً .

لقد أدى ظهور الاشتراكية وسيادتها فى جزء كبير من كرتنا الأرضية وتراجع الإمبريالية ، إلى زيادة الفرص المتاحة أمام الدول الفتية كى تتطور فى الطريق غير الرأسمالى ، إذ وجدت شعوب هذه الدول حليفاً قوياً فى الطبقة العاملة بالبلاد التى سارت بالفعل فى طريق التطور الاشتراكى وفى حركة الطبقة العاملة العالمية بشـكل عام .

وتبين لنـا تجربة الصـــومال وعديد من الدول النامية الأخرى ، أن البورجوازية الوطنية قد فشلت فى خلق اقتصاد صناعى وزراعى متقدم ،

وانغمست فى التجارة وجنى الأرباح السهلة الطائلة من توكيلات الشركات الأجنبية ، وقد أدى هذا إلى سيطرة البورجوازية على كل النشاط السياسى والاجتماعى فى هذه البلدان .

ما هى التجارب السابقة فى هـذا المجال ؟ وما هى الخبرة التى تجمعت ؟ وكيف تشق طريقها غير الرأسمالى نحو الاشتراكية ؟

ترتبط مشـكلة التطور غير الرأسمالى للبلاد المتخلفة بالتقـدم من ثورة التحرر الوطنى ، والثورة الديموقراطية إلى الثورة الاشتراكية . نحن هنا أمام مظهرين لعملية واحدة . أن التطور الغير رأسمالى هو العملية الثورية للتحول التدريجى المنتظم لثورة التحرر الوطنى إلى ثورة اشتراكية ، وذلك عن طريق عدد من المراحل الوسيطة . وفى البلدان التى لا تـكون فيها الظروف مواتية بعد أمام سيادة الطبقة العاملة تدريجياً ، تتضمن هذه العملية عدة مراحل من التقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى . إن مشاكل السلطة السياســية وطابعها الطبقى ، والمشاكل الخاصة بتحقيق الأهداف الديموقراطية العامة ، وتربية الشعب ايديولوجياً وثقافياً كل هذه المشاكل لا تحل فى فترة الانتقال ، وإنمـا تحل تدريجياً خلال عدد من المراحل الوسيطة .

ثمـة سمة تميز التطور الغير رأسمالى . فخلال هذا التطور لا تتحقق المهام الديموقراطية العامة فحسب ، وإنما تتحقق أيضاً بعض مهام الثورة الاشتراكية . فالدولة خلال التطور غير الرأسمالى تنتهج سياسة اجتماعية اقتصادية تستهدف القضاء على الاستغلال الإمبريالى وعلاقات ماقبل الرأسمالية ، كما تستهدف الحد من الرأسمالية ، وتشجيع أشـكال الاقتصاد فى القطاع العام (ملـكية الدولة والتعاونيات) بكل وسيلة ممـكنة[1] .

---

(١) تخطى الرأسمالية : فيـكتور تياجونينـكو ـ القاهرة ـ ص ١٧ .

وأمامنا الآن تجربة شعوب الجمهوريات السوفيتية فى الشرق للتحول إلى الطريق الاشتراكى دون المرور بمرحلة التطور الرأسمالى . وقد تضمن هذا البرنامج المبادىء الأساسية التالية :

أولا : تجميع وتوحيد العمال والفلاحين من أجل القضاء المبرم على الروابط القبلية والاقطاعية واجتذابهم — تدريجياً — إلى عملية البناء الاشتراكى .

ثانياً : حرمان العناصر الاستغلالية من احتمالات فرض أى تأثير على الجماهير ، وحرمان هذه العناصر من امتيازاتها الطبقية ، وذلك بتنظيم جماهير الشعب داخل مجالس سوفييتات الشعب العامل .

ثالثاً : توحيد الأهالى الفقراء داخل منظمات إقتصادية ذات طابع مهنى تعاونى مختلط ، الهدف منها تسهيل عملية انتقال العمال من أشكال الاقتصاد المتخلف إلى أشكال أكثر تقدماً ، والانتقال من حياة البدو الرحل إلى إقتصاد زراعى ، ومن حانوت الحرفى القائم على سوق حرة إلى عمل فى الجمعيات التعاونية لحساب الدولة ، والانتقال من الانتاج الحرفى إلى الانتاج فى المصانع ، ومن الزراعة المحدودة إلى زراعة الأرض على أساس جماعى مخطط .

رابعاً : محو الفوارق القومية الحقيقية التى نجمت عن الفوارق الاقتصادية التى رسخت على مر التاريخ . وتتطلب هـذه العملية نضالا ملحاً صلباً ضد رواسب الضغط القومى والعبودية الاستعمارية فى كافة مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية . وكان تصنيع المناطق القومية هو السبيل الأساسى إلى القضاء على الفوارق القومية .

وجدير بالذكر أن سرعة التحول من علاقات ما قبل الرأسمالية إلى

علاقات اشتراكية تعتمد — إلى حد كبير — على معدل التنمية الاقتصادية فى البلد ، ومدى حدة التناقضات الاجتماعية[1] .

وقد استغرقت عملية انتقال الرعاة الرحل إلى أشكال الاقتصاد الاشتراكى — والتى تقتضى حياة من الاستقرار — زمناً طويلا واتسمت بالصعوبة والتعقيد .

وجربت الدول النامية مصاعب عمليات التحول إلى الاشتراكية ، وثبت تاريخياً أن الثورة الوطنية الديموقراطية هى البديل الوحيد لتقصير الطريق إلى مجتمع اشتراكى وتخطى مرحله الرأسمالية . وفى هذه المرحلة — كما يقول قادة المكتب السياسى الصومالى — فإن الدولة تأخذ الدور القيادى فى تطوير برامج التنمية باشتراك استثمارات رأس المال الوطنى . ويحدث التكامل طبقاً لخطط التنمية التى تضعها الحكومة مع سيطرتها وتوجيهها أيضاً . وتتطلب هذه المرحلة أيضاً تنمية إقتصادية سريعة وتحولا إلى الاشتراكية . وخلال عملية التحول هذه ، تصب كل إمكانيات الأمة معاً بهدف خلق قاعدة صناعية وقوة إقتصادية وطنية مستقلة عن الاقتصاد الرأسمالى العالمى الذى لا يكون إلا علاقات إقتصادية غير متكافئة .

وطالما أن الطبقة العاملة فى هذا البلدان ضعيفة الوعى السياسى ، فلا بد من وجود تحالف مع طبقات اجتماعية لها إيديولوجيات سياسية مختلفة ، ولكنها مستعدة للتعاون حول أهداف تكتيكية فى المرحلة الانتقالية وتأخذ مواقف معادية للامبريالية تمليها مصالحها الوطنية للاشتراك فى السلطة السياسية . ولا بد وأن يقود هذا التحالف الديموقراطى حزب جماهيرى ثورى مسلح بأفكار ايديولوجية طبقيه نابعة من الأفكار الاشتراكية العلمية .

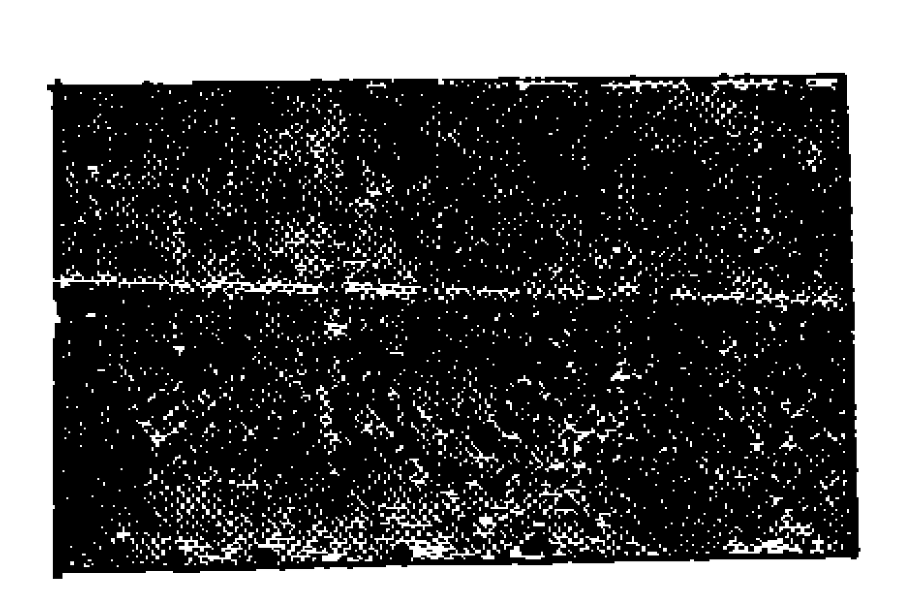
---

(١) نفس المصدر السابق ص ٢٣ .

وفى الصومال — ومازال الكلام هنا لأعضاء المكتب السياسى — فإن هذا التحالف مكون من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين والبورجوازية الصغيرة .

فما هى مهام الثورة الوطنية الديموقراطية فى الصومال ؟

هذا ما نناقشه فى الفصول التالية فى المجالات المختلفة .



الفصل الرابع

قضية التنمية

« لا تظهر البطولة فى ميدان القتال فقط ، ولكنها تظهر أيضاً فى مجالات الإنتاج المادى ، وفى الدفاع عن الايديولوجية الاشتراكية العلمية فى كل مجالات الحياة البشرية » .

سياد برى

٢٩ / ٧ / ١٩٧٢

١ — مناقشة مفتوحة حول

فلسفة التنمية

أتيح لى مناقشة جالالى إبراهيم ميجاج سمتر وزير الصناعة آنذاك ، خلال إقامتى فى الصومال ثم خلال زياراته المتعددة للقاهرة ، فى الاشتراكية وخطة التنمية فى الصومال . وبعد ذلك أصبح وزيراً للتخطيط . وقبل أن أناقش خطة التنمية فى مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية بالحقائق والأرقام ، أحب أن أسجل نقاطاً من أحاديثنا معاً حتى تتضح فلسفة التنمية الصومالية .

— ما صلة الاشتراكية ببلد صغير متخلف كالصومال ؟ وكيف نستطيع التحدث عن ثورة البروليتاريا فى بلد ليس به أية صناعة ؟

يقول ميجاج :

* إننا هنا لا نتحدث من نماذج جاهزة يمكن نقلها من أى مكان وبمنتهى السهولة . إننا نتحدث هنا عن طريقة للتحليل ، ولمعرفة الواقع كى نغيره . إن هذه الطريقة فى التحليل — أى المادية الجدلية — طريقة علمية ، غير أن الجهود

التى تبذل فى تغيير المجتمع ، بعد تفهم تركيبه بمساعدة التحليل ، خاصة ، وتتغير بتغير المكان والزمان .

ويجب علينا أن نفهم أن بلادنا ، مثلها فى ذلك مثل معظم البلدان المتخلفة بعد فترة الاستعمار ، بلاد رأسمالية ما « قبل الثورة » مهما كانت هذه الرأسمالية مشوهة . وقد عمت الرأسمالية العالم بأسره تقريباً خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر ، وكان ذلك نتيجة للبحث الذى لم يعرف الرحمة ، عن الأسواق ، أسواق البضائع المصنوعة ومصادر للمواد الخام لمصانعها .

إن تاريخ الاستعمار الأوروبى لأفريقيا وآسيا ، والاستعمار الجديد الغربى لأمريكا اللاتينية ، تاريخ معروف . ويكفى القول أن تطور الدول الرأسمالية المتقدمة وتخلف العالم المتأثر بالاستعمار ليسا بظاهرتين مختلفتين ، إنهما وجها عملة واحدة . إن دور تجارة الرقيق الأفريقية والاستيلاء على مناجم الفضة فى أمريكا اللاتينية فى تراكم رأس المال فى الأوقات السابقة ، وكذلك الاستغلال الاستعمارى فى التطور الرأسمالى التالى ، دور ثابت فى التاريخ ولا يحتاج إلى إثبات . إن غناهم وثراءهم ليسا سوى نتيجة لفقرنا والعكس بالعكس .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الرأسمالية الاستعمارية ، لم تكن مجرد استغلال فقط . لقد أدخلت أيضاً علاقات الإنتاج الرأسمالية نتائجها المترتبة عليها من الطبقات والتنشئة التعليمية . وعلى أى حال فإن هذه الرأسمالية فى عصر الاستعمار لم تكن تقدمية ، وإنما كان من شأنها أن تجعل تلك البلدان المستعمرة ملحقات تعسة للبلد المستعمر (بكسر الميم) .

المهمة الملقاة الآن على عاتقنا هى بناء صرح صناعى عن طريق الاشتراكية ، بعد انتهاء الاستغلال وإعادة وسائل الإنتاج والتوزيع للشعب .

صحيح أن التباين الطبقي في مجتمع كمجتمعنا غير واضح ، ولكن ذلك لا ينفي وجودها ، إن أجنتها موجودة . وصحيح أن الطبقة العاملة صغيرة العدد ، إلا أنها نامية ، وهي لم تقطع صلاتها بعد نهائياً بالفلاحين والرحل ، في الوقت الذي تشكل فيه الطبقة الأخيرة معظم سكان بلادنا . ومثل الطبقة العاملة ، فإن عدد أفراد الطبقة البورجوازية ضئيل جداً . وبسبب ظروف الاستعمار الجديد ؛ فإنها لم تكن بورجوازية وطنية تقدمية تطور الصناعة ورأس المال . بالعكس فهي استوظفت ما كان لديها من الثروات الضئيلة في التجارة ، وفي امتلاك الأراضي والمباني ، وكلاهما قطاعان غير منتجين ، إذا ما قارناهما بالصناعة . وتشمل البورجوازية النامية موظفي الدولة في المراتب العليا ، من المدنيين والجيش ، وكلاهما من إنتاج النظام التعليمي للاستعمار . وكان السياسون الذين يحكمون البلاد يأتون في الغالب من هذه الأقسام الثلاثة للبورجوازية .

إن تفجير ثورة أكتوبر بأيديولوجيتها الديموقراطية الاشتراكية ، تتيح لنا أن ننجز المهمة التاريخية في منع ازدهار مجتمع طبقي كان من المحتم ظهوره في شكل بورجوازية كومبرادورية مشوهة . إن الطريق الرأسمالي للتطور لا محل له في بلادنا . وبالنسبة للبلدان المتخلفة فإن الإمبريالية العالمية منعت ذلك . ولكي يتم بناء الأمة ، أي توحيدها وتوجيهها نحو التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، كان على الثورة أن تكون ثورة اشتراكية . وهنا تبرز المهمة الرئيسية في تعبئة قوانا العاملة لصالح البناء الاشتراكي .

وقد اتخذت الخطوات التالية في هذا الاتجاه :

١ — إلغاء المؤسسات السياسية لنظام الحكم السابق .

٢ — زيادة حجم القطاع العام عن طريق التأميم في كل من الإنتاج والتوزيع .

٣ — وضع الاقتصاد على طريق مبادىء التخطيط .

٤ — توجيه الشعب عن طريق الحملات المختلفة لإعداده أيديولوجيا للبناء الاجتماعى .

* * *

على أى المجالات تركز خطة التنمية ١٩٧١ ـ ١٩٧٣ ؟

يقول ميجاج :

— يجب أن يتسع القطاع الحكومى ويقوى ، حتى يكون له دور السيادة فى اقتصادنا وإلا استحال وضع خطة للتنمية ، خصوصاً إذا وضعنا فى اعتبارنا نقص المعلومات والأرقام . لقد بدأنا بتأميم الشركات الأجنبية ، وأعطانا هذا القدرة على :

أولا : التحكم فى اقتصادنا .

ثانياً : موازنة ميزانيتنا حتى تتمكن الدولة من أن تستثمر أكثر فى القطاعات الأخرى ، خصوصاً فى قطاعات الخدمات الاجتماعية أو فى القطاعات الإنتاجية والاقتصادية .

كانت الخطوة الثانية هى أن نبدأ وضع خطة للتوسع فى الصناعة . وهذه هى أيضاً استراتيجيتنا . علينا أن نقوّى الصناعات القائمة بالفعل والتى كانت تدار بشكل سيء خلال الفترة السابقة . وتشمل الصناعات الغذائية أساساً (مصانع تعليب اللحوم والأسماك والنسيج) . ثم نضع خطة لإقامة مصانع جديدة .

أى الصناعات نختار ونركز عليها ؟

من الناحية النظرية نحن نعترف أنه لكى نصبح دولة صناعية متقدمة ، يجب أن نبنى صناعة ثقيلة ، ولكن ظروفنا لا تسمح ، وبهذا تصبح هذه مناقشة أكاديمية بحتة ، إذ أننا نفتقر إلى مصادر الكهرباء الرئيسية وأساساً الفحم والبترول والحديد الخ . لذا فنحن لا نفكر فى الصناعة الثقيلة فى الوقت الحالى. أضف إلى هذا بطبيعة الحال المساحة الواسعة لبلدنا والتى يعيش فيها قلة من الناس ، والسوق الصغير بالتالى . لذا علينا ألا نفكر فى الصناعة الثقيلة إلا من خلال بعض الصناعات الضئيلة اللازمة .

إننا نركز الآن فى الصناعة على ما يطلق عليه الصناعات الزراعية ويعنى هذا أن نركز على تصنيع ما لدينا من مواد خام : ثروة حيوانية وزراعية ، ولدينا الآن عدة مصانع ، ونحن نسعى لتوسيع عمليات التصنيع هذه . ويجرى الآن بناء مصانع لاستخدام التبغ الذى نزرعه والطماطم وإنشاء المطاحن .

إننا نركز إذن على تصنيع ما لدينا من مواد خام وأساساً فى الزراعة والثروة الحيوانية والثروة السمكية . ثم حين نسير بخطى واسعة كافية فى هذا الاتجاه سنفكر فى الصناعة الثقيلة . ولكننا بدأنا بعض الخطوات البسيطة فى هذا المجال بإنشاء مصنع للأسمنت . وأود أن أضيف أنه فى حالة استكشافنا للبترول ستتغير هذه الاستراتيجية بطبيعة الحال .

هناك مناقشات تدور حول المعونة الأجنبية ودورها فى خطة التنمية؟

— خبرتنا مريرة فى هذا المجال ، فقبل الثورة كان هناك من يقول : « الصومال مقبرة المساعدات الأجنبية » . ذلك لأن الصومال لم تستخدم

المساعدات التى أعطيت لها بشكل صحيح . وهذا حقيقى . ولكن الجانب الآخر من الموضوع هو أن المسألة لم تكن واضحة تمام الوضوح : هل هى إتفاقيات ثنائية أم استثمارات خاصة ، ودائماً كانت مرتبطة بضغوط مختلفة .

إن موقفنا الآن من المساعدات الأجنبية واضح تمام الوضوح . إن أى بلد لا يمكن أن يقف بمعزل عن البلاد الأخرى ، ولابد أن تكون له ارتباطات وعلاقات من خلال التجارة والمساعدات . إننا لكى ننمى إقتصادنا يجب أن نشترى آلات وماكينات لمصانعنا ، كذلك يجب أن نشترى ما ليس لدينا من بضائع استهلاكية . ونحن نعتبر المساعدات الأجنبية عاملاً مساعداً لاقتصادنا . إننا نؤمن أن التنمية بواسطة المساعدات الأجنبية مستحيلة وهى ضرب من الخيال . إنك لكى تنمى بلدك يجب أن تعتمد على نفسك أولا وعلى مصادرك ، على خطتك أنت وقوتك أنت . وعندما تقوم بهذا فإن المساعدات الخارجية تدفع بخطتك إلى الأمام . ومنذ ثلاث سنوات ـ أى منذ قيام الثورة ـ أحب أن أقول لك أننا تلقينا مساعدات أجنبية أكثر مما أخذته الصومال فى ست سنوات قبل الثورة .

وهذه المساعدات من أنواع مختلفة . إما مساعدات من خلال منظمات الأمم المتحدة ، أو ثنائية من خلال اتفاقيات مع دول صديقة . نحن نحدد المشروع وما ستشترك به الدولة الصومالية ، ثم نحدد ما يمكن أن يشترك به الطرف الآخر . كل شىء يتم بوضوح لاغموض ولا لبس فيه . والمساعدات معظمها فى شكل قروض .

٢ ـ التنمية الاقتصادية والاجتماعية

« إن القضية الملحة التي تجابه الثورة هي مشكلة الاقتصاد. إننا نفهم جيداً بأننا سوف نحكم بسياستنا الاقتصادية وبالنجاح أو الفشل الذي نسجله في هذا الميدان. إن التنمية الاقتصادية هي القضية الرئيسية وعليها يعتمد نجاح نشاط الأمة الاجتماعي والسياسي وغيره ».

سياد بري
١٩٧٠/٧/١

حاولت حكومات الاستقلال بعد إنهاء السيطرة الاستعمارية التعجيل بالتنمية الاقتصادية من خلال خطة خمسية ١٩٦٣ — ١٩٦٧ والبرنامج القصير للتنمية ١٩٦٨ — ١٩٧٠، ولكنها فشلت في محاولاتها. لقد كان المجتمع مبني على عدم المساواة وكانت مراكز القوى المختلفة ضد التنمية بمعناها الواسع. وبينما كان على القيادات السياسية أن تتحدث عن التنمية والديموقراطية، لم تكن قادرة أن ترفع عينيها عن مصالحها الآنية الضيقة القبلية دون النظر إلى نفع الأمة كلها. ولم تشترك الجماهير في صنع القرار وكذلك لم تشترك في وضع القرارات

فى التطبيق ، ولم تشترك فى إنجاز خطة التنمية . وبهذا كانت برامج التنمية منعزلة عن الجماهير وتنقصها الحيوية التى يبعثها اشتراكها ، لم تكن أكثر من « برامج على الورق » ينقصها الديناميكية والمضمون الاجتماعى .

وهكذا استمر الاقتصاد يتحرك فى شكله التقليدى فواجهت الصومال بعد استقلالها مشاكل حيوية من أجل بناء إقتصاد وطنى قوى وضمان رفع مستوى معيشة الجماهير الصومالية والقضاء على الفقر والجهل وتحقيق التقدم الاجتماعى . ولم يكن حل هذه المشاكل ممكناً بإتباع الطريق التقليدى الذى سارت فيه الصومال بعد الاستقلال . لقد أوضحت التجارب التاريخية أخيراً فشل الرأسمالية فى تحقيق التقدم الاقتصادى السريع الثابت اللازم للقضاء على هذه المشاكل ، إذا أرادت أن تتخلص من تبعيتها للاحتكارات الإمبريالية ومن التخلف . وفضلا عن ذلك لا تستطيع الرأسمالية أن تمكن هذه البلاد من التقليل بصورة أساسية من الهوة بين إقتصادها المتخلف والاقتصاد المتقدم للدول الامبريالية . وحسب تقديرات الاقتصاديين الغربيين فإن هذه الدول المتخلفة يمكنها أن تصل إلى مستوى البلاد الرأسمالية الحالى فى نهاية القرن الحادى عشر على أحسن الفروض .

ولم يكن فى الصومال بورجوازية محلية بالمعنى العلمى للكلمة ، ولكن الفئات الوطنية التى كانت فى السلطة ارتبطت أجزاء منها بالإقطاعيات الزراعية والاحتكارات الأجنبية وقنعت بدور الشريك الأصغر ، وقد جعل هذا تطور الرأسمالية الوطنية مؤلماً للغاية بالنسبة للجماهير التى ظلت تعانى الاستغلال رغم الحصول على الاستقلال .

وكان من الأمور الهامة والحاسمة فى سنوات الاستقلال المريرة أن أصبح الطريق مفروشاً بالثراء لقلة عن طريق استغلالها للجماهير الواسعة ، ولم يكن من

الممكن أن تعبئها لإعادة بناء الوطن . فلمن تبنى الجماهير ؟

وإذا ما استعرضنا التطور الاقتصادى فى الصومال بعد الاستقلال ، فإننا ندرك الآن لماذا بدأ التوسع فى القروض منذ الاستقلال عام ١٩٦٠ ، ووصلت المسألة إلى أقصاها فى عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ ، خاصة فى إقراض القطاع الخاص أى الفئة التى استفادت من ثمار الاستقلال الوطنى ، وقد أدى هذا بالتالى إلى مزيد من القروض الأجنبية . وأصبح التمويل من المصادر الخارجية هو أسهل طريق للتنمية فلم توضع سياسة نشيطه لتنمية المدخرات وزيادة الإيرادات ، ولذلك أطلق على الصومال أنها « مقبرة القروض الأجنبية » .

وشهد العام الأول بعد الاستقلال زيادة سريعة للغاية فى الاعتمادات المالية ، واتسع نطاق إقراض القطاع الخاص بشكل كبير وارتفع الاحتياطى من العملات الأجنبية بحدة بسبب اندفاع رأس المال الأجنبى إلى الصومال .

وشهد عام ١٩٦٢ زيادة طفيفة فى الاعتمادات المالية لا تزيد عن ١٠ ٪ ولكن مقابل هذا تضاعفت نسبة إقراض القطاع الخاص ، ويرجع هذا إلى انخفاض الصادرات هذا العام من محصول الموز مما اضطر زارعو الموز إلى الاقتراض .

وما أن حل عام ١٩٦٤ ثم عام ١٩٦٥ حتى شهدت البلاد انخفاضاً لا مثيل له فى رصيدها من العملات الأجنبية مما أدى إلى طلب معونة IMF . ورغم هذا فقد ارتفعت القروض عام ١٩٦٣ بنسبة ٦٤ ٪ وارتفعت القروض من الخارج إلى ٧٨ ٪ (أكثر من ٧٠ مليون شلن صومالى) .

فخلال السنوات الخمس الأولى التالية للاستقلال حصلت الجمهورية الناشئة على « منح » بلغت قيمتها ٥٨٫٩ مليون جنيه استرلينى ، وعلى قروض

قدرها ٥ر٦ مليون جنيه استرليني[1] :

إيطاليا	٢٢	مليون جنيه
الولايات المتحدة	٣ر١٢	»
السوق الأوروبية المشتركة	٨ر٩	»
وكالات الأمم المتحدة	٣ر٤	»
الاتحاد السوفييتي	٠ر٥	»
الصين الشعبية	٠ر٣	»
مصر	٥ر٠	»

وفى إبريل ١٩٦٥ تعهدت ألمانيا الغربية بتغطية العجز فى الميزانية كما أعلنت أنها ستقدم معونة للتنمية تعادل ٦٢ مليون شلن صومالى . ووعدت بتقديم ٢٨ مليون شلن لبرنامج الصومال الفنى بالإضافة إلى ١٢ مليون شلن لدعم البوليس زيدت بمبلغ ١٠ ملايين . وفى عام ١٩٦٦ قدمت معونة قدرها ٦ مليون شلن لتوفير ما يحتاج إليه الصومال من معدات زراعية وسيارات نقل . وفى أول عام ١٩٦٧ قدمت منحة فى صورة سلع قدرها ٦ر٣ مليون شلن . وتعهد صندوق التنمية الأوروبى والجمعية الدولية للتنمية والصندوق الخاص التابع للأمم المتحدة بتقديم مايعادل ٩٦ مليون شلن لإنشاء بعض الطرق . وفى يونيه ١٩٦٧ وافقت الجمعية الدولية للتنمية على تقديم ائتمان قدره ٣ر٢ مليون دولار لإتمام طريق أفجوى — بيدوا والذى يتكلف ٨ر١٠ مليون دولار . وخلال عام ١٩٦٦ أعلن أن السعودية سوف تقدم قرضاً قيمته ٣٦ مليون شلن[2] .

---

(١) الدكتور راشد البراوى ـ الصومال الجديد ـ ص ١٩٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٦ .

وفي عام ١٩٦٦ تعهد الاتحاد السوفييتي بأن يزود الصومال بحاجتها من المواد البترولية، على أن تستخدم حصيلة بيعها في الداخل لتمويل المصروفات بالعملة المحلية على المشروعات التي يمولها الاتحاد السوفييتي . وفي أغسطس ١٩٦٨ وقع إتفاقاً يقضي بأن يقدم الاتحاد السوفييتي مبالغ لتمويل المشروع القصير الأجل (١٩٦٨ — ١٩٧٠)

وفي عام ١٩٦٧ وافقت الولايات المتحدة على تقديم ما يعادل ٤٣ مليون شلن صومالي لتنفيذ المرحلة الثانية من مشروع ميناء كسمايو، ولتحسين الموارد المائية . وفي عام ١٩٦٨ قدمت الصين الشعبية قرضاً بدون فوائد قيمته ٨ مليون فرنك سويسري . وفي يناير ١٩٦٩ وافق صندوق النقد الدولي على إتفاق احتياطي لتمكين الصومال من شراء عملات أجنبية لغاية ٦ مليون دولار[1] .

وصاحب هذا كله اندفاع الفئات العليا من المجتمع نحو الفساد والاغتراف من خزينة الدولة لتصب كلها على الحياة المرفهة لمجموعة ارتضت لنفسها أن تعيش على حساب الجماهير لتخدعها ولتستمر في خداعها .

لقد انتهى نضال القيادات السياسية عند حد الاستقلال السياسي ... كانت هناك حاجة ماسة إلى الحصول على الاستقلال التام عن الإمبريالية أي الاستقلال الاقتصادي، وخلق اقتصاد وطني الأمر الذي يدعم السيادة الوطنية التي حصلت عليها الصومال . . كانت هناك حاجة إلى حل المشكلة الزراعية التي تفاقمت باستيراد الحبوب ... ولتطوير الصناعة الوطنية والحياة الاجتماعية ... ورفع مستوى معيشة الجماهير واتباع سياسة خارجية نشطة معادية للامبريالية .

---

(١) نفس المصدر ص ١٩٦ .

كانت هناك حاجة إلى تطور غير رأسمالى .

من هنا كانت ثورة اكتوبر ١٩٦٩ .

لقد كان التطور غير الرأسمالى يستدعى فى الماضى ظروفاً خاصة مناسبة مثل القرب الجغرافى من إحدى الدول الاشتراكية أو حتى الإلتصاق بها ، أما اليوم فلم يعد للتأخر الاجتماعى والاقتصادى ولا لحجم البلاد أو حتى بعدها الكبير عن الدول الاشتراكية أهمية قصوى ، وذلك لقوة النظام الاشتراكى العالمى على نطاق الكرة الأرضية وقوة مواقع القوى الديموقراطية حتى فى الدول الرأسمالية ، وقوة الطبقة العاملة العالمية[1] .

وليس من الضرورى أن تقود الطبقة العاملة هذا الطريق ، إذ أن الطبقة العاملة فى الصومال ضعيفة وإن كانت الآن يقوى دورها من خلال الدور الذى تلعبه فى التنمية ومن خلال عمليات التصنيع التى تسير على قدم وساق . ولكن السير فى الطريق غير الرأسمالى ممكن فى البلدان المتخلفة . وفى الصومال ورغم وجود هذه « الفئة » من البورجوازية نقول أن العلاقات الرأسمالية كانت ضعيفة التطور ولهذا يمكن تخطى مرحلة الرأسمالية ، إذ لم يكن من الممكن انتظار آلام الطريق الرأسمالى الطويل فى هذه البلاد حتى تنشأ طبقة عاملة قوية ومنظمة لتصبح القوة القائدة فى المجتمع الصومالى .

لقد تحقق قول لينين :

« فى المعارك الحاسمة المقبلة للثورة العالمية ، ستتحول حركة غالبية سكان العالم — تلك الحركة التى كانت موجهة فى البداية إلى التحرر الوطنى — لمواجهة الرأسمالية والإمبريالية ، وقد تلعب دوراً ثورياً أكبر مما نتوقع » .

(١) مجدى نصيف : منغوليا وطريقها الخاص نحو الاشتراكية ، الطليعة ـ عدد يولية عام ١٩٧٣ .

وكذلك قوله :

« ... إن الثورات الاشتراكية لن تكون فحسب — أو أساساً — هى صراع العمال الثوريين فى كل بلد ضد بورجوازيتهم — كلا ، إنها ستكون صراع كل المستعمرات والبلاد التى تقهرها الإمبريالية ، وكل البلدان التابعة ضد الإمبريالية العالمية » .

لقد قامت ثورة اكتوبر وأمامها مهام شاقة . فلا بد وأن تحافظ على حياة الأمة الاقتصادية وتطورها وتضمن العمالة للسكان حيث لايزيد دخل الفرد عن ٥٢ دولار فى السنة ، وتطور القوى الإنتاجية المتخلفة لتحقق البعث الوطنى ، وكلها أهداف نقشتها القوى الثورية الجديدة على راياتها لتقضى على التخلف الذى خلفه الاستعمار ، بينما يقل إنتاجها السنوى بالنسبة للفرد من ٢٠٠٠ إلى ٤٠٠٠ ٪ عنها فى البلاد الرأسمالية المتقدمة !

من هنا كانت أهداف الحكومة الثورية فى التنمية هى :

أولا : بذل الجهود من أجل التوازن المالى بزيادة الدخل وتخفيض النفقات الحكومية . حيث كان ٨٠٪ من دخل الحكومة يذهب كمرتبات .

ثانياً : تأكيد دور الإدارة الحكومية حتى يمكن تحقيق أهداف خطة التنمية ، إذ لم يتجاوز الإنجاز فى خطة السنوات الخمس الأولى ١٩٦٣ — ١٩٦٨ أكثر من ٣٠ ٪ .

ثالثاً : تعبئة الجماهير باشتراك الحكومة أيضاً لتلعب دورها معتمدة على ذاتها فى خطة التنمية بدلا ، من القروض الأجنبية التى لم تؤد إلى شىء بل على العكس حطمت الاقتصاد الوطنى .

رابعاً : تحول القوى المنتجة العاطلة إلى أنشطة اقتصادية مفيدة .

خامساً : توسيع قاعدة القطاع الاشتراكى فى الاقتصاد فى مجالات الزراعة والصناعة والبنوك لتمكينه من السيطرة على الاقتصاد .

سادساً : تشجيع عمليات تصحيح الثغرات الموجودة فى المجتمع من أجل تدعيم التنمية الاقتصادية .

وقد تحقق التوازن فى الدخل والمصروفات الحكومية من خلال :

(١) تنشيط جمع الضرائب المتراكمة .

(٢) تخفيض مرتبات الموظفين فى جميع القطاعات . وفى نفس الوقت زيادة العمالة ، وبذلك زادت فعالية الأجهزة الحكومية .

ولقد كان من أهم الإجراءات كذلك إعادة تنظيم الجهاز الحكومى والقطاع العام ليصبحا أكثر فعالية ، كذلك إدخال كثير من العناصر الثورية فى الوزارات وفى القطاع العام . وفى نفس الوقت فرضت الضرائب على بعض البضائع الكمالية مثل المشروبات الروحية والقات والسجائر .

ولكن أهم الإجراءات كانت تلك التى اتخذت فى ٧ مايو ١٩٧٠ بتأميم أربعة من البنوك الأجنبية . وفى أول يناير ١٩٧١ أمم بنكان جديدان . وقد خلص هذا الإجراء النظام النقدى فى الصومال من الدائرة المفرغة التى كان يدور فيها بالنسبة لمشاكل التنمية ، وليس هناك الآن أى بنوك أجنبية أو فروع لها بمعنى أصح . كذلك أممت الحكومة نصيب القطاع الخاص فى مصنع السكر بجوهار ومزارع القصب التابعة له (سناى) وهو أكبر شركة فى كل أنحاء الصومال . وأممت الحكومة شركات توزيع البترول التى كانت جزءاً عن شركات البترول العالمية ، كذلك أممت « شركة كهرباء مقديشيو » ، وشركة وطنية للتأمين .

وبالتأميمات ضمنت الحكومة تراكم رأس المال الذى يمكن استخدامه فى خطة تنمية طموحة .

وقامت الجماهير تهتف للثورة يوم إعلان هـذه التأميمات فى مظاهرات ضخمة فى مقديشيو ، وربما كانت هذه أول مرة فى العالم الثالث تقوم الجماهير بمظاهرات من أجل التأميم .

لقد حاولت البورجوازية تفريغ الإصلاحات الاجتماعية من مضمونها الثورى المعادى للرأسمالية ـ قبل الثورة ـ فكانت تقوم بها من أجل تقوية مراكزها ، كما سعت لاستغلال التعاونيات لتدعيم وتوسيع مراكز أغنياء الفلاحين ولاستغلال قطاع الدولة لخلق بيروقراطية منفصلة عن الجماهير الشعبية تنهب الخزانة العامة .

إن تأميم الشركات الأجنبية وبالذات البنوك وشركة السكر هى أشد الإجراءات ثورية ضد الاستغلال المباشر من الاحتكارات الأمبريالية ، وبها أيضاً تدعم مركز الصومال الاقتصادى ، وخاصة بالبنوك التى كانت تسيطر بها على الاقصاد الصومالى . وكان التأميم وسيلة فعالة لدفع ثورة التحرر الوطنى وتوفر لها الشروط اللازمة للتطور غير الرأسمالى .

ولأن فى السلطة حكومة ديموقراطية ثورية ، كان القضاء على الشركات الأجنبية ضربة موجهة كذلك إلى البورجوازية المحلية ، وخاصة فئاتها العليا المرتبطة بهذه الشركات .

* * *

وأحب أن أضيف هنا مقتطفات من بعض المقالات والتعليقات على إجراءات التأميم التى اتخذت . وأوجز هنا مقالاً نشر فى مجلة « نجمة أكتوبر » بمناسبة الحملة الوطنية من أجل تطبيق الاشتراكية العلمية . وقد نشر هذا المقال فى العدد ٨٥٥ — السنة الثالثة الصادر فى ٨ أغسطس ١٩٧٢ .

يقول المقال :

التأميم هو إجراء تلجأ إليه الدولة أحياناً لتنقل إليها ملكية بعض المشروعات والمؤسسات الاقتصادية التي كانت في أيدي الأفراد أو الهيئات وتتولى الدولة إدارة هذه المشروعات أو المؤسسات نيابة عن الجماهير الشعبية من الأمة لصالح المجتمع ، أي تنقل الدولة هذه المشروعات من الملكية الخاصة إلى الملكية العامة لتعود بالنفع على الأمة .

لقد ظهر أن هذا الاتجاه — في الصومال — معطل لتنمية الاقتصاد القومي ولنشاط المجتمع أيضاً ، وخاصة في المرافق الحيوية الكبرى ، لأسباب عديدة منها :

أولاً : أسباب سياسية :

اتضح أن بعض المشروعات الاقتصادية الضخمة تؤثر دائماً في حياة البلاد السياسية ، فيسيطر أصحاب تلك المشروعات بما لديهم من أموال ونفوذ إقتصادي على نظام المجتمع وتشريع قوانين البلاد لتحقيق مصالحهم وزيادة أرباحهم الخاصة ، كما لوحظ أن بعض الدول الأجنبية تشترك أحياناً في هذه المشروعات الاقتصادية عن طريق شراء أسهم فيها ، لكي تؤثر في توجيه سياسة الدولة نفسها وكأنها دولة داخل الدولة ، حيث تشترك في تقسيم أرباح مشروعات البلاد الاقتصادية ،

ثانياً : أسباب اقتصادية :

يتحكم أصحاب المشروعات الفردية ، وخاصة ما يمس منها مصالح الجماهير كالمواصلات والكهرباء ، ومصادر المواد الغذائية — كالأراضي الزراعية — وغيرها لتحقيق الربح الخاص ، وينتج في أكثر الحالات أن يهمل التحسين والصيانة في هذه المشروعات أو المرافق ، وتستعمل الإدارة كل الظروف الممكنة للحصول على أكبر قدر ممكن من الربح .

ثالثاً : أسباب اجتماعية :

ظهر أن المشروعات الاقتصادية الفردية توفر الربح للساهمين وأصحاب رأس المال ، وذلك على حساب العمال والموظفين الذين يعملون فى المشروعات والمؤسسات . لذلك يصبح العمال فى حالة سيئة نتيجة الأجور المنخفضة التى يدفعها لهم أصحاب العمل ، مما لا يوفر للعمال مستوى لائقاً من المعيشة مقابل عرقهم .

رابعاً : أسباب مالية :

تقوم الدولة بالتأميم لمشروع من المشروعات الفردية لأنها محتاجة إلى أن تستفيد من أرباح المشروع لتنفقها فيما يعود على المجتمع بالفائدة ، وذلك على اعتبار أن الدولة أولى بالأرباح التى تنتجها هذه المشروعات ، لحاجتها المالية إلى ما تدره من ربح لتوجهها للصالح العام .

* * *

ثم يناقش المقال موقف الشريعة الإسلامية من التأميم فيقول :

— قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » — وفى رواية — و « الملح » . ويفيد حديث الرسول عليه الصلاة والسلام إن كل إنسان له الحق فى الاستفادة من هذه الموارد الطبيعية لحاجة الناس جميعاً إليها . وقد وصل فقهاء الإسلام فى بحوثهم إلى أنه لا يجوز أن يستأثر بها إنسان دون بقية الناس إلا أن يحرزها فى الأنية أو ما أشبهها ، فإذا أدت الملكية الشخصية لهذه الأشياء أن تحبس عن الناس أو يتحكم مالكها فى ثمنها أو توزيعها بحيث يتضررون من ذلك وهم فى حاجة إليها ، جاز للدولة أن تتدخل فى الأمر أو تحول دون هذا الاحتكار ، وكان لها أيضاً أن تتخذ الوسائل الكفيلة لاشتراك الناس جميعاً من الإستفادة منها تحقيقاً لمعنى — الشركة

التي وردت فى حديث الرسول عليه السلام فى قوله : «الناس شركاء فى ثلاث» . وتعني الشركة فى هذا المعنى : التأميم . كذلك يجوز للدولة أن تتدخل فى تحديد الأسعار والسلع الاستهلاكية التي لا يستغنى عنها إنسان لحياته .

ولا شك فى أن النص على تلك المواد الثلاثة ليس على سبيل الحصر ، بل يلحقها بها كل ما كان مثلها فى الأهمية وفى حاجة الناس جميعاً إليه بدليل إضافة الملح إليها فى بعض الروايات . وهذا يعنى أن كل ماهو ضرورى للناس من طعام أو غيره يأخذ هذا الحكم وهو جواز التأميم من الناحية الشرعية أو القانونية .

ومن المعروف أن الوقف جائز فى الشريعة الإسلامية ، بل هو مرغوب فيه للحاجات الاجتماعية ، والوقف كما عرفه فقهاء الإسلام هو إخراج العين الموقوفة من ملك صاحبها إلى ملك الله ، أى تكون غير مملوكة لأحد بل تكون منفعتها مخصصة للموقوف عليهم ، وهذا يعنى التأميم للصالح العام .

وقد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً بالمدينة يقال لها ــ النقيع ــ لترعى فيها خيول المسلمين ، وحمى عمر بن الخطاب أيضاً بالربذة وجعلها مرعى لجميع المسلمين ، فجاء أهلها وقالوا لعمر رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين ، إنها بلادنا قاتلنا عليها فى الجاهلية وأسلمنا عليها فى الإسلام ، علام تحميها ؟ فأطرق عمر ثم قال : المال مال الله والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه فى سبيل الله ما حميت من الأرض شبراً فى شبر .

وهذا قول صريح فى تأميم الأرض لحاجة الدولة والمجتمع ، وفيه من المبادىء أن أصحاب الحاجات تقضى لهم حوائجهم ولو كان فى ذلك بعض الضرر لأصحاب الثروات الكبيرة ، وأنه لو لم يفعل ذلك لهلكت رؤوس الأموال الصغيرة ولزم الدولة أن تكفل لهم حاجاتهم ، وأن المصلحة التي تصيب هؤلاء وهم سواد الشعب ، تتحقق بتحمل ضرر بسيط يلحق بأصحاب الحق فى

المال المؤمم . وهو أفضل من تحمل ضرر أكبر بإلزام خزانة الدولة إعالة تلك العائلات . وهذا تطبيق للقاعدة ـ بتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى .

ومن المعروف فى الفقه الإسلامى أيضاً أن الاحتكار غير جائز ، وأن المحتكر الذى يمتنع عن بيع الناس ما احتكره ، يجبره القاضى أو الحاكم بيع ما زاد عن قوته وقوت عياله . وإذا أبى أن يبيعه للناس إلا بسعر فاحش يشق عليهم ، يأمر القاضى ببيعه بسعر معدل الربح وفق تقدير الخبراء ، فإذا أبى فى الحالتين ، انتزع منه ماله ، وباعه عليه بسعر معدل . فإذا اقتضت مصلحة المجتمع اليوم انتزاع ملكية ما من أصحابها ، جاز لها كما هو الحال فى الاحتكار السالف الذكر .

●

وهكذا أمكن تطوير برنامج التنمية (١٩٧١ — ١٩٧٣) ، ذلك البرنامج الذى يعكس آمال الشعب الصومالى من أجل مجتمع تقدمى عادل :

أولا : إنه يقوى قدرة القطاع الزراعى والحيوانى التقليدى ليتقدم نحو التحديث .

ثانياً : إن الأستثمارات فى مشروعات البناء التحتى Infra Strutcure مثل مصادر المياه والطرق ووسائل الاتصال الأخرى يقوى قطاعات الإنتاج الأخرى لترتبط معاً لزيادة الإنتاج .

ثالثاً : مشروعات لتقوية القاعدة الصناعية وذلك إما عن طريق إعادة تنظيم الصناعات الموجودة بالفعل فى القطاع العام وإما البدء فى صناعات جديدة .

رابعاً : أكد البرنامج الدور الذى يلعبه القطاع الخاص فى الأمة ، وخاصة فى التنمية الصناعية .

خامساً : تحسين التعليم والمستوى الصحى .

وحتى ندرك كيف عالجت هذه الخطة المشاكل وكيف ركزت عليها فإننا نقدم استثماراتها أولا :

خطة تنمية (١٩٧١ — ١٩٧٣) بالألف شلن صومالى

	القطــــاع	الاستثمارات	النسبة المئوية ٪
١	الثروة الحيوانية	٥٩ر٣٨٥ر٨	٥ر٩
٢	الزراعة	١٠٧ر٧٢١ر٠	١٠ر٨
٣	الرى	٣٨ر٨٨٩ر٠	٣ر٩
٤	الغابات والصيد	١٤ر٣٠٦ر٠	١ر٤
٥	المواد المائية	١١٩ر٥٠١ر٠	١٢ر٠
٦	التعدين	١٧ر٥٢٥ر٥	١ر٨
٧	الصــناعة	٨٧ر٧٩٥ر٠	٨ر٨
٨	الكهرباء والطاقة	٢٣ر٥٣٣ر٨	٢ر٣
٩	النقل والمواصلات	٣٥٣ر٠٦٠ر١	٣٥ر٣
١٠	التعليم	٤٨ر٥٩٥ر٤	٤ر٩
١١	الصحة	٧١ر١٥١ر٠	٧ر١
١٢	الاسكان	١١ر٥٧٥ر٩	١ر٢
١٣	الرفاهية الاجتماعية	٥ر٢٩٣ر٠	٠ر٥
١٤	العمل والتدريب الفنى	١١ر٦٥١ر٥	١ر٢
١٥	الاحصائيات والخرائط	٨ر٤٣٩ر٠	٠ر٨
١٦	السياحة	١٣ر٥٠٠ر٠	١ر٣
١٧	الإعــلام	٨ر٠١٠ر٠	٠ر٨
	المجموع	٩٩٩ر٩٤٣ر٠	١٠٠ ٪

ونظرة واحدة إلى الجدول السابق تبين لنا أوليات خطة التنمية كما شرحت من قبل . إن ٣٥٫٢ ٪ من استثمارات الخطة موجهة للنقـــل والمواصلات و ١٢ ٪ للموارد المائية و ١٠٫٨ ٪ للزراعة ثم ٣٫٩ ٪ للرى و ٥٫٩ ٪ للثروة الحيوانية .

فأول ملاحظة هى أن استثمارات الخطة تبلغ حوالى ١٠٠ مليون شلن صومالى بزيادة ٤٧ ٪ عن خطة ١٩٦٧ — ١٩٧٠ القصيرة الأجل . ثم التركيز على مشروعات البناء التحتى من الطرق والمواصلات التى هى عصب أى تنمية خاصة وأن الاستعماريين لم يتركوا أى شىء . بعد ذلك تأتى الزراعة والثروة الحيوانية وقد خصص لها جانب كبير من استثمارات الخطة ثم الصناعة والكهرباء .

وننتقل إلى نقطة هامة أخرى هى التمويل الخارجى للخطة . فنقول أن الثورة وضعت خطة للاعتماد على الذات ، وليس معنى هذا عدم قبول القروض ولكن أن تكون الأولوية للتمويل الداخلى ، ثم تأتى القروض بعد ذلك . ولكن هذا لم يتم فجأة بل تم تدريجياً . ففى المشروع القصير الأجل (١٩٦٨ — ١٩٧٠) كاد أن يكون الاعتماد كلياً على التمويل الخارجى ، أما التمويل الداخلى فلا يسهم بغير ٥٫٥ ٪ . صحيح أنه فى المشروع العاجل (١٩٧١ — ١٩٧٣) لم يكن من الممكن الانتقال فجأة ، ولكن كانت هناك زيادة كبيرة تبلغ ١٠٠٠ مليون شلن صومالى مقابل ٧٠٥ مليون شلن فى برنامج (١٩٦٨ — ١٩٧٠) . أما نسبة التمويل الداخلى فى المشروع العاجل (١٩٧١ — ١٩٧٣) فتبلغ ٢٠١٫٦ مليون شلن صومالى بينما هى لم تزد عن ٣٩ مليون شلن فى الثانى .

٣ ـــ نهاية الدوق أبروزى

« إننا لا نعتزم بهذه الإجراءات أن نخلق شركات عامة بيروقراطية مكان الشركات الخاصة . ولكننا نعتزم أن ننظم بفعالية توجيه أجهزة اتخاذ القرارات فى الحقل الاقتصادى . وأن نجد جميع المصادر المتوفرة نحو تحقيق الأهداف لكى تفى بالضروريات العاجلة واحتياجات الجماهير العظيمة » .

سياد برى
١٩٦٩/١٢/٣١

الطريق من العاصمة مقديشيو إلى مدينة جوهار على بعد مائة كيلو متر إلى الشمال ، سهل معبد . وكلمة جوهار أصلها العربى جوهرة . وهى حقاً جوهرة ، فهى غنية بالنباتات والحيوانات الأفريقية ، الأشجار هناك كثيفة خضراء . كان الأطفال يتسلقون أشجار جوز الهند الطويلة السامقة ويقذفون لنا بحباته ، إذا كانت مازالت نيئة تشرب ماءها اللذيذ الطعم ، وإذا كانت قد نضجت تأكلها بعد أن تنزع قشرتها ، ولكنهم هنا يفضلون الماء ،

ويمكنك أن تطلبه فى الفندق . فى هـــذا الطريق شاهدت العديد من الحيوانات الأفريقية . القرود تعترض طريق السيارة . وعندما عبرنا نهر شيبيلى أو ونحن نسير بجواره فى طريقنا إلى جوهار رأيت حيوانات بين السحالى والتماسيح تتحرك ببطء . وعلى مدى البصر ونحن نعبر أحد الجسور كانت هناك أحراش تلقى بهامات أشجارها فوق المياه ، أشار لنـا أحد المرافقين وقال لنا : هنا تعيش عائلة من عائلات أفراس البحر ، ولـكننا لم نر شيئاً سوى حركة فى المـاء وأنوفها تتحرك فوق سطحه .

كنا فى طريقنا إلى مصنع السكر ، أكبر مصنع فى كل أنحاء الصومال ! يشكل إنتاجه ٢٠ ٪ من الإنتاج الصناعى عموماً . منذ حوالى خمسين عاماً لم يكن هناك شىء : لا هذه الحدائق الجميلة ولا مصنع السكر ولا مزارع قصب السكر ولا قنوات الرى ، ولا تلك المدنية التى أتيت لزيارتها . كل هذا خلق من العدم بأيدى صومالية ولـكن كان يمتلكه شخص واحد ، استعمارى إيطالى إسمه الدوق أبروزى . كانت هذه المدينة معروفة على كل الخرائط باسم «فيلاجو دوكا ديلجى أبروزى» أو كما كانت تختصر باسم « فيلا أبروزى » ، ولـكن بعد الاستقلال استعادت إسمها الأصلى : « جوهار » .

لقد كان الدوق يعتقد أنه سيظل هنا هو وذريته إلى الأبد . والقصة مريرة تسمعها من فم مدير مصنع السكر ، إذ أنها كفاح الشعب الصومالى كله :

— مصنع السكر هذا هو أكبر وأقدم مصنع فى الصومال . أعطيت للدوق أبروزى جميع التسهيلات عام ١٩١٩ لبناء مزرعة ضخمة . بدأ بزراعة الذرة وبعض المحاصيل الأخرى ليختبر خصوبة التربة ، ثم بدأ فى تشييد مصانع صغيرة (الزيوت والصابون وطحن الذرة الخ) . وفى عام ١٩٢٣ بدأ زراعة

قصب السكر . كان الإنتاج اليومى آنذاك ٣٠ طناً ولكن الإنتاج استمر فى الارتفاع يوماً بعد يوم والمصنع يلتهمه كله . وفى موسم الحصاد كان آلاف البدو الرعاة يتدفقون على المنطقة ليعملوا منـــذ شروق الشمس حتى غروبها لينالوا بضعة مليمات ، كان الدوق هو الذى يحدد مايريده من أجر ، فقد كان هناك دائماً جوعى على استعداد للعمل .

بعد الاستقلال طالبت الحكومة عام ١٩٦٣ بنصيب فى المصنع الذى كان ينتج حينئذ ١٥٠ طناً يومياً ، فأخذت الصومال ٤٩ ٪ ، واتفق الطرفان على « صوملة » المصنع ، ولكن المدير المعين لم يكن يفعل شيئاً ، كان يعيش فى مقديشيو لايعرف شيئاً عن الذى أطلق عليه إسم « الشركة الصومالية للزراعة القومية » (سناى) SNAI . حاول خريجو الجامعات الصوماليون إقناع الحكومة إنه بإمكانهم إدارة المصنع بأنفسهم ، ولكن رجال الحكومة الصومالية لم يقتنعوا أن المهندسين الصوماليين يمكنهم إدارته ، كانوا يشكون فى مقدرة شعبهم . كان بعض الايطاليين «الخبراء» فى المصنع زملاء للمهندسين الصوماليين ، ولكن المسئولين طالبوا المهنيين الصوماليين بالسكوت .

بعد ثورة اكتوبر تغيرت الأوضاع ليس فى « سناى » فحسب ولكن فى الصومال كلها . أممت الشركة فى مايو ١٩٧٠ ، وبدأت عملية « الصوملة » ، ولم تكن المسألة سهلة .

قال الدكتور حسن حاشى فقى مدير الشركة :

— عندما بدأت «الصوملة» انتشرت الهمسات والمحاولات لعرقلة كل هذا . لايمكن للمصنع أن يديره صوماليين فقط . والآن أنظر حولك ها هى النتيجة . إزداد دخله خمس مرات عن آخر سنة قبل الثورة . فى اكتوبر ١٩٦٩ كان

١٥٣ إيطالياً يعملون هنا تحت أسماء مختلفة وفى جميع الأقسام ، الآن ليس هناك إيطالى واحد باستثناء طبيب مقيم متزوج من صومالية . ينتج المصنع الآن بعض المنتجات الجانبية مع السكر . ننتج بعض منتجات البلاستيك (الزجاجات والصنادل الخ) ، وروائح وشامبو وزيت شعر وكحول وبعض المشروبات الكحولية التى بدأت الآن تغزو الأسواق المحلية وأسواق بعض الدول الصديقة ! إنى أتذكر الآن وقت قرار التأميم ، طلب الخبراء مضاعفة مرتباتهم وإلا ... الرحيل . كانوا يهددوننا ... قبلنا التحدى . طلبنا منهم الرحيل فى مدى عدة أيام ... واستمر العمل فى المصنع أفضل من قبل ، وازداد إنتاجنا وأصبح كل شىء لنا ، المصنع والنادى والكافتيريا والمدارس و كل شىء ... كان الواحد منهم يحصل على ٧ إلى عشرة آلاف شلن صومالى أما « الخبير » الصومالى الذى يقوم بنفس العمل فيأخذ فى المتوسط حوالى ١٥٠٠ شلن صومالى .

كنا فى جولة فى المصنع وفى المزارع . صحبنا الدكتور حسن حاشى فتى مدير الشركة والمهندس عبد العزيز سيدو عمر مدير المصانع والمهندس الزراعى جامع مرسى عبدى مدير المزارع . كانوا يتحدثون بفخر واعتزاز عما استطاعت الأيدى الصومالية أن تنجزه . ولكن ما هى المشاكل التى تقابلهم الآن ؟

المشاكل هنا مختلفة تماماً عن مشاكلنا فى مصر مثلا . إنها مشاكل أفريقية صومالية ! على سبيل المثال أحد المشاكل . . الأفيال . إنها على عكس الفيلة الهندية لا تخدم الإنسان . وكثيراً ما تأتى قطعان الفيلة « لزيارة » مزارع السكر عند الغروب وتفسد كل شىء .

ولكن لعل العدو رقم واحد هنا هو . . الشمس الإستوائية القاسية . هناك بعض الأسماك المحلية ، سوداء وطولها نصف متر تقريباً وجدت فى التربة على

بعد عدة أميال من النهر . يقول الشيوخ إنه عندما تجف الأنهار تحفر الأسماك التربة « الطرية » وتنتظر السنين الطوال حتى تمتلىء الأنهار مرة أخرى .

المشكلة الأولى بطبيعة الحال هي . . الماء . فوسم المطر قصير والمطر نفسه قليل ، وفى موسم « الجفاف » يجف النهر ، وبهذا فإن زيادة مساحة الأراضى الزراعية لزيادة إنتاج المصنع مشكلة معقدة .

وفى زيارتنا لمزارع السكر عرفت أن مساحتها كانت ٦٥٠٠ هكتار أصبحت الآن سبعة آلاف هكتار ستصل فى خلال عامين إلى ٧٧٠٠ هكتار . وتقسم هذه المساحة الشاسعة إلى سبعة مزارع كبيرة يعمل فيها ١٨٠٠ عامل زراعى بشكل منتظم إلى جانب ٥٥٠٠ عامل موسمى . ويتغير هؤلاء باستمرار إذ يتم اختيارهم من ٢٠ ألفاً على مدار السنة من الرعاة الذين يعيشون فى المنطقة . كل مزرعة يديرها مهندس زراعى صومالى يعيش فى مزرعته نفسها ، وقد اتخذت هذه الخطوة بعد التأميم حتى يستطيع كل مسئول الإشراف على عمله فى موقعه وليس من المكاتب .

— كان الإيطاليون يتركون أراضى جيدة صالحة للزراعة ، لم تكن تهمهم « الأرض الصومالية » ، كل ما كان يهمهم كيف يحققون أقصى ربح بغض النظر عن أى شىء آخر . وقد قمنا بتصحيح كل هذه الأخطاء ، لأنها أرضنا وسنورثها ـ لأولادنا ـ من بعدنا .

— هناك بعض الأراضى « المالحة » نعالجها فى بادىء الأمر بزراعة الحبوب وعباد الشمس : وها كم أرقام حصاد قصب السكر .. هكذا قال لى مدير المزارع .

عام ١٩٦٤ كان الحصاد ٦٠٠ر٩٠ طن من القصب والسكر ٨٨٠٠ طن .

عام ١٩٧٠ « « ٤٣٨ ألفاً من الأطنان والسكر ٤٠ ألف طن .

عام ١٩٧١ « « ٤٠٠ر٤٦٣ طن والسكر ٥٠٠ر٤٧ طن .

— ماذا عن المستقبل :

— إن أهم شىء الآن هو حل مشكلة الماء . لذلك فهناك اتفاقية مع الاتحاد السوفييتى وقعت فى نوفمبر ١٩٧١ خلال زيارة الرئيس سياد لموسكو ، لبناء سد فى منطقة فانول . ولما كانت الأيدى العاملة متوفرة والخبرة موجودة ، فإن الخطة هى زيادة إنتاج السكر . إن الإنتاج الآن يشكل ٩/١٠ الاحتياجات الصومالية ، بعد هذا يمكننا الإنتاج من الإكتفاء الذاتى ... ثم التصدير .

— فى الماضى كانت منتجات الشركة الجانبية يقذف بها إلى الأفران كوقود . الآن نتوسع فى هذه المنتجات بشكل كبير ، حتى أننا نفكر فى بناء مصنع للورق والكرتون ، وسنتوسع أيضاً فى زراعة عباد الشمس .

— إننا نريد أن نزيد من الأيدى العاملة . كان العامل يحصل فى المتوسط على ٣٣٢ شلن صومالى ، وهو يحصل الآن على ٣٦٥ شلن . ولا ننسى إن جزءاً من أرباح المصنع تذهب إلى تحسين الخدمات الاجتماعية التى تساعد على رفع مستوى معيشة العمال .

— لقد ساعدنا الاتحاد السوفييتى بالمعدات ، عشرين من الصوماليين قد تخرجوا من معاهد سوفييتية : مهندسين زراعيين وكهرباء وكيمياء ورى وغيرها . ويساعدنا اثنين من المهندسين السوفييت أحدهما مهندس ميكانيكى والثانى مهندس رى .

* * *

فى نهاية الزيارة سلمت على الجميع بحرارة ، لقد قضيت يوماً ممتعاً ، شعرت فيه بحرارة العمل وحرارة الحب للوطن . كانت آخر كلمات مدير الشركة ترن فى أذنى :

— إن المهمة التى تواجهنا الآن هى رفع المستوى التكتيكى للمصنع لنصل إلى المستوى العالى للانتاجية . وسيحقق عمالنا ومهندسونا هذه المهمة كما نجحنا من قبل فى إدارة المصنع وزيادة إنتاجيته . إننا نشعر الآن بالثقة فى أنفسنا وهذا الشعور هو الذى يجعلنا نحقق المعجزات !



٤ ــ عنــد خط الاستواء

من أمتع الرحلات التى قمت بها فى الصومال رحلتى إلى مدينة كسمايو فى الجنوب ، وهى تبعد بضعة كيلومترات من خط الإستواء . استرجعت ما تقوله كتب الجغرافيا ، فتصورت أننى سأخلع ملابسى من شــدة الحر . ولـكن ... ما أكذب الـكتب . صحيح أن الجو حار ، ولـكنه ليس بالدرجة التى تقولها الـكتب . بل إن نسمات المحيط تنعش المدينة ، فقط ليلاً عندما ذهبت لأنام ، لم أستطع النوم فى غرفتى إلا بعد عدة ساعات .

سمعت فى ميناء كسمايو قصة مضحكة لا تزيد عن كونها إحدى القصص التى كنا نراها على شاشة السينما عن الأفريقيين الذين كان البيض يبادلونهم النفائس بحبات من الخرز : شركة إيطالية إسمها شركة سوجوى كانت « صاحبة » الميناء وتعطى الحـكومة مقابل ذلك ٤٠ ألف شلن صومالى ؛ كانت هى التى تحصل الرسوم من السفن ، ولم تـكن تقدم أى خدمات للعمال أو تطور العمل فى الميناء ، واستمر هذا الوضع طوال فترة الاستقلال ، ولم يكن هناك بد من « تأميم الميناء » فى فبراير ١٩٧٠ ، فأصبح موظفيه وعماله يعملون فى الحـكومة . وعلى الفور تـكونت لجان للاشراف على قطاعات العمل المختلفة ،

وتكونت مدارس لمحو الأمية ، ومستشفى للاسعاف ضد الحوادث الفجائية .

ويزداد عدد السفن الآتية إلى الميناء :

١٩٧٠	كانت	١١٠	سفينة
١٩٧١	أصبحت	١٤٤	»
١٩٧٢	»	١٥٠	»

وأصبح دخل الميناء ٨ مليون شلن صومالى أى ١٦٠ ضعفاً ! أليست نفس قصة الخرز القديمة تتكرر وبشكل أفظع هذه المرة .

تصدر الصومال من كسمايو الحيوانات الحية والجلود والفواكه ، وهو « ميناء الموز » الأساسى ، حيث أن ٦٠ ٪ من الموز الصومالى المصدر إلى الخارج يصدر من هنا . أما الـ ٤٠ ٪ الباقية فتصدر من ميناء ميركا .

بعد زيارتنا للميناء توجهنا لزيارة خط الإستواء ... طريق مرصوف وعلى يميننا المحيط الهندى بروعته ، وعن يسارنا الغابات ومزارع الموز الكثيفة . ووصلنا إلى « الخط الوهمى » ولكن أقيم « شاهد » مثل المسلة ، وعليه علم الصومال الأزرق بنجمته البيضاء .

ولعل هذه المنطقة من أجمل المناطق فى العالم التى يمكن استغلالها سياحياً : ساحل المحيط حيث تتناثر أيضاً بعض الجزر الصغيرة غير بعيدة عن الشاطىء ، وحيوانات بعضها لايوجد له مثيل فى دول شرق أفريقيا الأخرى رغم شهرتها بالصيد وغابات كثيفة .

إن ١٠ ٪ من مساحة الصومال تغطيه الغابات والأحراش ، وأهم ما تفعله الثورة الآن هو حماية هذه الأراضى حتى يمكن تطوير إمكانياتها . وتبذل الجهود لحل المشاكل الناتجة عن الماشية وهى ثروة البلاد الأساسية ولكنها خربت كثيراً من الغابات .

الخطة الأساسية لاستثمار هـــذا المجال هي توفير الفنادق وأماكن الإقامة فى مراكز الصيد ، وأماكن وساحات الصيد العامة وإمكانيات الإنتقال وترتيبات لصيد الحيوانات والأسماك ، وتطوير الفنون الشعبية والرقص . وقد بدأت هذه الجهود بإنشاء فندق جوبا فى العاصمة .

والصومال غنية بالحيوانات الـكبيرة والصغيرة : إبتداء من الأفيال والخراتيت والأسود حتى الجاموس والحمار الوحشى والفهد والفهد العجمى وسيد قشطة الخ ! ويوجد الـكثير من الأنواع النادرة من الأبقار الوحشية التى لا ترى إلا فى الصومال وتشمل أنواعاً مختلفة من الظباء وحمار الوحش التى توجد عند سلاسل الجبال الشمالية .

وجنوب غرب كسمايو تقع إحدى مناطق الصيد الوطنية الثلاث ، ثم هناك منطقة أخرى شمال هرجيسا ومنطقة ثالثة هى الجزيرة القريبة من مقديشيو ، وإن كانت هناك مناطق متحفظ عليها لحماية الحيوانات الوحشية .

وصيد الحيوانات الوحشـية الـكبيرة من المتع الـكبرى ، ولـكن المتعة الأكبر هى منظر الطيور الجميلة العديدة ، إذ لا تـكاد العين تصدق الألوان البراقة المتنوعة . فخلال زيارتى وخاصة لـكسمايو كنت أجد هذه الطيور فى كل مكان ، فى بلادنا محبوسة فى أقفاص حدائق الحيوانات .

وفى نفس الوقت يقدم شاطىء المحيط الممتدى لصيادى البحار العميقة مجموعة متنوعة من الأسماك ، التى تقتصر على أماكن قليلة فى بقية بقاع العالم . إن مجاورة أراضى الصيد للمناطق الساحلية ، تمـكن السائح أو العائلة من الاستمتاع بكافة المتع .



المؤلف عند خط الاستواء جنوبي مدينة كسمايو بعدة كيلو مترات

الفصل الخامس

المسألة الزراعية

« إننا نركز فى هذا البرنامج على قطاعين تقليدين من قطاعات الاقتصاد الصومالى : الزراعة والثروة الحيوانية . وأى محاولة للاندفاع فى التصنيع ستؤدى إلى الفشل ، إلى حين تطوير هذين القطاعين » .

سياد برى

٢١ / ١٠ / ١٩٧٠

١ ــ السمات العامة والتنمية الزراعية

قبل أن نناقش التنمية الزراعية فى الصومال ، يجب أن نقول أن المسألة الزراعية هنا تختلف جوهرياً عنها فى معظم الدول الأفريقية الأخرى . فإن السبب الجذرى لفقر الأفريقيين فى الدول الأخرى المجاورة وخاصة كينيا ، كان الإغتصاب والنهب الصريح للأرض . وسواء منذ اندفاع الدول الإمبريالية العظيم نحو أفريقيا فى نهاية القرن التاسع عشر ، أو خلال هذا الإندفاع ، كان اختطاف الأرض هو الهدف المحورى المشترك . فعن طريق الإستيلاء المباشر والغزو والضغط على الرؤساء ، والغش والخداع ، والتنكر للوعود والعهود ، وباستخدام كل وسيلة ميسورة ، تمكن ممثلو الدول الغربية من الإستيلاء على الأرض(١) . ففى اتحاد جنوب أفريقيا ، انتزع ٨٩٪ من الأرض من الأفريقيين أو احتجزها الأوروبيون لأنفسهم . وفى روديسيا الجنوبية كانت هذه النسبة ٤٩ ٪ ، ونفس الوضع فى سوازيلاند . وعلى الرغم من أن هذه النسبة كانت أقل فى المناطق الأخرى ــ ٩ ٪ فى الكونجو البلجيكى و ٧ ٪ فى كينيا ، ٥ ٪ فى نياسالاند وغانا وأفريقيا الجنوبية الغربية ، ٣ ٪ فى روديسيا

(١) جاك ووديس : جذور الثروة الأفريقية : ترجمة أحمد فؤاد بلبع .

الشمالية ، فإنها ما زالت تعنى أن مساحة الأرض بالنسبة للأوروبى فى أفريقيا كانت أكبر بكثير من مثيلتها بالنسبة للأفريقى[1] .

بيد أن الأمر الأكثر أهمية هو أن الأرض التى تركت فى أيدى الأفريقيين كانت أقلها خصباً ، على حين كانت الأرض التى انتزعها الأوربيون أكثر خصباً . الأدهى من ذلك أن الأوربيين كانوا يتركون جزءاً كبيراً من الأراضى التى استولوا عليها بدون زراعة .

وإنه لصحيح بطبيعة الحال أن السبب الرئيسى لعمليات النهب إنما هو سبب بسيط من أسباب التراكم البدائى . الإستيلاء على الأرض بسبب المعادن التى تحويها والمحصولات التى يمكن أن تزرع فيها . بيد أن ذلك لا يعدو أن يكون جانباً واحداً من الإجابة ، وذلك لأن دراسة استخدام الأوربيين للأرض فى روديسيا الجنوبية ، وروديسيا الشمالية وكينيا ، على سبيل المثال توضح أن نسبة صغيرة للغاية من الأراضى التى خصصت للأوربيين هى التى استخدموها فى الحقيقة . السبب كان مزدوجاً : الحيلولة دون أن يصبح الفلاح الأفريقى منافساً للزارع الأوربى أو لأصحاب المزارع الرأسمالية الواسعة من الأوربيين ، وافتقار الفلاح الأفريقى إلى درجة يرغم معها معظم الشبان الأفريقيين على العمل لدى الأوربيين[2] .

إلا أن المسألة فى الصومال كانت جد مختلفة . فالأراضى القابلة للزراعة تصل إلى حوالى ٨ مليون هكتار لا يزرع منها إلا ٥ ٪ ولا يشكل الفلاحون أكثر من ١٩ ٪ من السكان والزراعة متخلفة بشكل عام باستثناء بعض المزارع الحديثة التى كان يديرها الإيطاليون . من هنا اكتفت الثورة بالإستيلاء وترك الفلاح الصومالى بل وتشجيع الزراعة والتمليك ، ثم التركيز على تطوير التعاونيات وإنشاء مزارع الدولة من خلال برنامج الطوارىء .

---

(١) ، (٢) جاك ووديس : جذور الثورة الأفريقية : ترجمة أحمد فؤاد بلبع .

الذى يحدد الخطوات التى تتخذ فى حل المسألة الزراعية فى الصومال إذن عديد من الاعتبارات أهمها خصائص الاقتصاد المتخلف . ففى مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية يعتبر القضاء على النظام القديم للملكية هو أهم شروط تحويل التركيب الاجتماعى – الاقتصادى للمجتمع ليتحقق مبدأ « الأرض لمن يفلحها » . وأيضاً يجب إنشاء التعاونيات الزراعية لصغار الفلاحين وإنشاء « المؤسسات المالية » التى تعطى الفلاح الصغير سلفاً طويلة الأمد ، كذلك إنشاء مزارع للدولة[1] .

ولما كان التصنيع يتطلب مواد خام رخيصة ، فمن الضرورى استنفاذ كل تكنيك ممكن مهما كان بسيطاً لتطوير الزراعة مثل الدورة الزراعية والرى . وبذلك يزداد الدخل القومى من الزراعة بشكل محسوس . وعلينا إدخال وتعميم هذه الأفكار بهذه الوسيلة أو تلك طبقاً للظروف السائدة فى كل منطقة . « وبرامج الطوارىء » يمكن أن تكون طليعية فى هذا التطور التكنيكى[2] » .

ويزرع فى هذه الأراضى السورجام والذرة والقطن والخضروات بمياه الأمطار والموز وقصب السكر والذرة والخضروات فى الأراضى المروية . وقد نجحت زراعة الأرز والتبغ الأخيرة .

فالمياه فى الصومال تأتى من مصدرين . الأمطار ثم من نهرى جوبا وشيبللى اللذين ينبعان من الأراضى الصومالية الواقعة تحت السيطرة الأثيوبية . ومياه النهرين كافية لاحتياجات ٨٠ ألف هكتار من الموز تباع فى المتوسط بسعر ١٨٩٠ مليون شلن صومالى سنوياً . العامل المهم فى الزراعة إذن هو الماء .

---

(1) , (2) Brief theoritical outline of 21 st october Revolution Published by P.R.O. Page 42.

والأساليب الزراعية الحالية التي يستخدمها الفلاح الصومالى متخلفة للغاية ويؤثر هذا على الإنتاج بطبيعة الحال . على سبيل المثال أجريت بعض التجارب في مراكز البحوث في بيدوا وأفجوى ثبت منها أنه يمكن زيادة إنتاج السورجام خمس مرات لو تغيرت طريقة الزراعة التي اعتاد عليها الفلاح الصومالى[1] . لذا فإن تحسين هذه الأساليب من الواجبات الأساسية الآن . من هنا كان من الضرورى تنظيم جهود الفلاح الفرد في تعاونيات زراعية لتفادى بعثرة الجهود ، فى التعاونية يصبح من السهل تعليم مجموعة من الفلاحين لتطوير طرق الزراعة وتقديم التسهيلات من بذور منتقاة وآلات وسماد ومبيدات .

وتمتلك « مؤسسة التنمية الزراعية » ١٧٨ تراكتور مختلفة الأنواع تؤجرها مزارع الموز ومزارع الدولة والمزارعين الأفراد والتعاونيات . وبنت المؤسسة صوامع للغلال تسع ١٥٠ ألف كنتال من الحبوب لتنفيذ أهداف التخزين والتسويق وتحد الأسعار .

استراتيجية التنمية الزراعية

قبل أن نتحدث عن خطة التنمية الزراعية يجب أن نذكر بعض المشاكل في هذا المجال . فالصومال بلد يعتمد على الثروة الحيوانية والزراعية . ورغم ذلك كان يستورد من الخارج حوالى ٣٠ ألف طن من الحبوب ، لقد كان هذا وضعاً غريباً استمر فترة الاستقلال . من هنا كان وضع أى استراتيجية للتنمية الزراعية خلال برنامج التنمية السريع الذى بدأت به الثورة (١٩٧١ — ١٩٧٣) والذى انتهى العام الماضى ، وقبل الخطة الخمسية ، يجب أن يعتمد

(1) Development Programme 1971 — 1973 P. 77

على حل كل هذه المشاكل . وفى نفس الوقت يجب أن تكون التنمية الزراعية متمشية بشكل عام مع التنمية فى المجالات الأخرى ، وأن نتذكر أن الزراعة ستستمر لفترة كالنشاط الأساسى الذى تعتمد عليه الدولة النامية ، وأن يوضع فى الاعتبار كذلك أن موارد التنمية محدودة .

كانت هناك أربعة أهداف مباشرة فى البرنامج :

الأول : الإكتفاء الذاتى فى إنتاج الحبوب التى يعتمد عليها الشعب الصومالى فى غذائه .

الثانى : الإكتفاء الذاتى فى محاصيل إنتاج الزيوت بدلاً من استيرادها .

الثالث : زيادة وتحسين محصول التصدير الأساسى (الموز) إلى جانب زيادة محاصيل أخرى جديدة للتصدير .

الرابع : إنشاء عدد من الصناعات التى تعتمد على المحاصيل الزراعية المحلية أو ما يطلق عليها الصناعات الزراعية .

وتحقق ذلك من خلال :

أولا : برامج لمساعدة الفلاحين .

ثانياً : إنشاء مزارع للدولة .

ثالثاً : « برنامج الطوارىء » .

ومن أجل تحقيق هذه الاتجاهات الثلاثة اتخذت الإجراءات التالية :

١ — توسيع وإعادة تنظيم الخدمات الزراعية حتى تقابل احتياجات التوسع السريع فى البرنامج الزراعى الموضوع .

٢ — تقديم إمكانيات البذور المنتقاة والسماد والمبيدات والآلات

والماكينات ، وتلعب « مؤسسة التنمية الزراعية » الدور الأساسى فى هذا المجال مع وزارة الزراعة .

٣ — تنظيم التسويق وتحديد الأسعار لمساندة برامج الإنتاج الزراعى .

٤ — مساندة التعاونيات الزراعيـة لزيادة الإنتاج الزراعى وزيادة المنظمات الاجتماعية .

٥ — التركيز على البحوث الزراعية والتدريب الفنى حتى يمكن تطوير الزراعة .

٦ — شبكة مؤسسات لإقراض الفلاحين خلال تطبيق «برنامج التنمية» ويمكن هذا الحكومة أن تمسك بزمام قيادة التنمية الزراعية [1] .

ماذا تحقق من هذه الأهداف ؟ وكيف تحققت ؟

فى عام ١٩٧٢ أصبحت الصومال مكتفية ذاتياً بالنسبة للحبوب ، بل لقد حققت مخزوناً منها يكفيها ثلاث سنوات تالية . وفى نفس الوقت حققت أهم تغير فى حياة الفلاح من خلال إنشاء التعاونيات .

وكان تثبيت أسعار الحبوب تغيراً آخر أصاب حياة الفلاح ، ولعب هذا دوراً هاماً فى زيادة إنتاجها أيضاً ، وفى طرد التاجر الوسيط الذى كان يستغل الفلاح والمستهلك معاً .

وقد تحقق هذا من خلال البرنامج التالى للتنمية[2] :

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٧٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٨٢ .

أ مشروعات استكمالية :

١ — مشروع أبحاث زراعية وتدريب

يتكلف ٣ مليون شلن صومالى .

كان من الضرورى الإسراع فى هذا البرنامج الذى كان موضوعاً من قبل لاحتياجات مشروع الطوارىء فى الزراعة ومشاريع التنمية الأخرى ، وذلك لعلاج ضعف محصول السورجام والذرة وأبحاث فى محاصيل القمح والأرز والبذور الزيتية لاختيار تقاوى محسنة . ثم أبحاث لدراسة الموالح فى الصومال ودراسات حول التربة والرى لزيادة إنتاجية المحاصيل .

٢ — توفير التقاوى والبذور

يتكلف ٢٫٥٥٠٫٠٠٠ شلن صومالى .

بدأ هذا المشروع عام ١٩٦٨ لتزويد الزراع الذين يزرعون الأرض المروية لشيبيللى وجوبا بتقاوى الجريب فروت (الليمون الهندى) والقطن والسمسم بمحطتى جينال وكامسوما : وقد روعى الإسراع من هذا المشروع الذى كان يسير ببطء شديد وزرعت المساحات التالية للتقاوى :

	نوع التقاوى	المساحة المزروعة بالهكتار
١	الفول السودانى	٣٫٠٠٠
٢	السمسم	٥٫٠٠٠
٣	العصفر	١٫٠٠٠
٤	الذرة	٢٠٫٠٠٠
٥	الجريب فروت	١٫٥٠٠

أما بذور القطن المنتقاة من أجل توفير الاحتياجات لمصنع صومالتكس فقد زرعت فى مركز أفجوى .

٣ — تسويق الحبوب وتخزينها وتثبيت أسعارها

التكاليف ٣٫٣١٥٫٠٠٠ شلن صومالى .

بدأ هذا المشروع عام ١٩٦٦ بمساعدة الأمم المتحدة . وقد رأت الحكومة دراسة الجزء الأول منه والإسراع فى اتخاذ بعد الخطوات . وقد أدى تنفيذ هذا المشروع كما ذكرنا فى تخزين الحبوب وتثبيت أسعارها .

II مشروعات جديدة :

١ — تكثيف عمليات الإرشاد الزراعى أو القروض

تكاليف ٣٫٠٩٢٫٠٠٠ شلن صومالى .

كان من المهم أن تنتقل عمليات الإرشاد الزراعى من الشكل البيروقراطى إلى شكل ثورى جديد لتنقل الفلاح ولتلعب دورها فى التنمية الزراعية جنباً إلى جنب مع الإجراءات الثورية الأخرى ومن بينها إقراض الفلاحين سواء الأفراد أو التعاونيات ، ولقد كان هناك مركز واحد للارشاد الزراعى فى « بونكا » . وستستمر الحاجة إلى الإرشاد الزراعى خاصة عندما يتحول « برنامج الطوارىء » تدريجياً إلى برنامج لاستقرار الفلاحين .

وتقوم مراكز الإرشاد بفترة تدريب للمزارعين تستمر ١٥ يوماً وتضم كل فترة ثلاثون فلاحاً وكانت كالتالى :

السنة	عدد الفترات
١٩٧١	٢٥
١٩٧٢	٤٥
١٩٧٣	٦٠

وقد رتب كذلك أن ينتقل الفنيون إلى القرى لتنسيق عمل المرشدين الزراعيين مع المزارعين والتعاونيات .

وبطبيعة الحال فإن نجاح أساليب الإرشاد الزراعى تعتمد إلى حد كبير على العمل الجماهيرى النشيط ، وفى نفس الوقت القروض للأفراد والتعاونيات حتى يمكنها تذليل العقبات أمامها وتطبيق الأساليب الجديدة . وإن كانت القروض متواضعة خلال برنامج التنمية (١٩٧١ — ١٩٧٣) إذ لا تزيد فى مجموعها عن ٢٫١٩٢٫٠٠٠ شلن صومالى .

٢ — الخدمات القطنية :

التكاليف ١٠٫٠٥١٫٠٠٠ شلن صومالى . وذلك من خلال ثلاث وحدات .

(أ) وحدة بحوث وتقاوى .

(ب) وحدة إنتاج وحماية .

(جـ) وحدة تسويق .

أوضحت التجارب فى محطة البحوث الزراعية المركزية إمكانية نجاح القطن الطويل التيلة والمتوسط التيلة . ويؤدى هذا المشروع إلى :

١ — تحقيق الاكتفاء الذاتى حتى لا يستورد صومالتكس احتياجاته من

الخارج . إذ يستهلك المصنع حوالى ١١٠٠ طن شهرياً ومن المقرر أن يتوسع أيضاً فى إنتاجه . ومن المخطط أيضاً تجاوز مرحلة الإكتفاء الذاتى وتصدير القطن لبعض البلاد الأفريقية المجاورة .

٢ ـ توفير المادة الخامة للغزل والنسيج . فمصنع صومالتكس وهو المصنع الوحيد حتى الآن يسد ٥٠ ٪ فقط من الاحتياجات المحلية .

٣ — حماية المزروعات

التكاليف ٤٫٧٠٧٫٠٠٠ شلن صومالى .

من الصعب تقدير أرباح هذا المشروع ، وإن كان من المعروف أن الخسائر فى محصول السورجام تصل إلى ٣٥ ٪ من جراء الحشرات والطيور وغيرها .

٤ — التوسع فى زراعة الجريب فروت

تكاليف المشروع : ٦ مليون شلن صومالى .

الحقيقة أن الجريب فروت الذى يزرع فى الصومال من أجود الأنواع ، إلا أن المساحة المزروعة حالياً لا تزيد عن ٣٥٠ هكتاراً ، ومعظمه يستهلك محلياً باستثناء كمية ضئيلة تصدر إلى إيطاليا .

ويهدف المشروع النهائى إلى إنشاء مزرعة للتقاوى فى جينالى لتزويد كمية منها تكفى زراعة ١٥٠٠ هكتار موزعة على ثلاث تعاونيات . والمشروع ينتهى فى خمس سنوات وتكاليفه ١٦٫٤٧٩٫٠٠٠ شلن صومالى وإن كان الجزء المخصص لبرنامج خطة التنمية (١٩٧١ — ١٩٧٣) ٦ مليون شلن صومالى .

٥ — « برنامج الطوارىء » الزراعى

تكاليفه ١٥ مليون شلن صومالى .

لعل هذا البرنامج هو واحد من أروع أشكال العمل فى الدول الأفريقية ، فهو بداية لتحويل حياة الرعاة البدو الرحل إلى الإستقرار ، ويجمع بين التطوع والعمل . ويعتبر من خصائص العمل الجماهيرى فى الثورة الصومالية ، إنه فلسفة اقتصادية متمشية مع ظروف المجتمع الصومالى التى تنبع من :

(أ) الحاجة إلى الإكتفاء الذاتى فى الغذاء بل وتصدير الحبوب إن أمكن .

(ب) وجود الأرض الصالحة للزراعة بمساحات هائلة وعدم وجود الأيدى العاملة التى تقبل على العمل .

(جـ) الأيدى العاملة الموجودة والعاطلة عن العمل بشكل أو بآخر ، وإمكانية استخدام طاقاتها الإنتاجية لزيادة الإنتاج وتكوين رأس المال فى الاقتصاد .

(د) حث الجماهير على أن تتحرك بنفسها فى الريف الصومالى فى مجالات الإنتاج ، بتشجيع من الحكومة ماليا ومن خلال تقديم الخدمات الاجتماعية التى ترفع المستوى المعيشى للسكان .

وعن طريق هذا المشروع بدأت مزارع الدولة . ولقد بدأ هذا المشروع بعد الثورة مباشرة ومنذ أوائل عام ١٩٧٠ وحتى نهايته قامت خمس مزارع فى أفجوى وجينالى وجوهار وبليدوين وجيليب وتوج وجالى ، مساحتها حوالى ألف هكتار . وقد زرعت مساحة مماثلة واستغل موسم الأمطار . وعمل فى هذه المزارع ٢٥٠٠ صومالى وكان المحصول الرئيسى السورجام والذرة (١١٠ طن) وقام هؤلاء بحفر ١٢ كيلو متراً من القنوات وقاموا ببناء ٥٤ وحدة داخل المزارع للخدمات والأعمال المختلفة .

وبنجاح البرنامج عام ١٩٧٠ بدأت الحكومة تدفعه بعد ذلك . فزادت

المساحة المنزرعة فى المزارع حتى وصلت إلى خمسة آلاف هكتار فى العام التالى مباشرة، عمل فيها ٤٥٠٠ صومالى وأصبح بينهم بعض العمال والفلاحين المهرة (الذين يقودون التراكتورات على سبيل المثال) وفى نفس الوقت اكتسبوا مهارات فى الزراعة نتيجة للارشاد والتعليم . وأدى هذا إلى زيادة إنتاج المزارع . فى جوهار كان إنتاج هكتار الذرة عام ١٩٧١ على سبيل المثال ١١٫٥٢ كنتالا قفز إلى ٧٨ كنتال فى عام ١٩٧٢ أى حوالى سبعة أمثال ، والبصل من ١١٩٫١٦ كنتال فى عام ١٩٧١ إلى ٤٠٠ كنتال عام ١٩٧٢ أى ثلاثة أمثال ، وازداد إنتاج الذرة والسورجام ليصل إلى ١٦٠ طن هذا بالإضافة إلى محاصيل القمح والسمسم والفول السودانى والقطن وإن كان إنتاجها بمعدل صغير ، وخلال عام ١٩٧١ تم بناء حوالى ٩٦ وحدة داخل المزارع للخدمات والأعمال والآبار غير العميقة ، بالإضافة إلى حفر ١٥٦ كيلومتراً من القنوات ، وفى كل مزرعة شيد مركزا تعليم وإرشاد للعمال .

وفى موسم المطر عام ١٩٧٢ زرع ما يقرب من ٧٤٧٥ هكتاراً عمل فيها ستة آلاف صومالى ، كان محصولها من الذرة والسورجام وبذور الزيت والقطن والقمح والأرز والتبغ .

وتنوى الحكومة التوسع عام ١٩٧٤ فى مشروع الطوارىء بإنشاء المزيد من المزارع الحكومية على أن تكون الخطة كالتالى[1] :

عدد المزارع	المساحة المزروعة (هكتار)	العاملون	الوحدات المبنية	طول القنوات (كم)
١٤	١٠٨٣٠	٩٣٠٠	٦٠	٧٠

(1) Somali Socialeat Reuelutionary Construction. P 84.

لقد أعطى الصوماليون فى مشروع الطوارىء ساعات عمل تصل إلى ٢٫٥٣٨٫٠٠٠ فى عام ١٩٧٣ ، ومن المقدر أن تصل فى عام ١٩٧٤ إلى ٢٫٩٤٦٫٠٠٠ ساعة عمل ، وهى محسوبة على أساس عدد العمال الذين يعملون فى المزارع وعدد الأيام التى يعملونها .

ولعل أهم ما نقوله هنا أن هناك فارقاً كبيراً بين العامل الذى يعمل فى مثل هذه المزارع ، والفلاح الصومالى التقليدى ، فهو هنا أكثر وعياً ودرس الأعمال الزراعية وجرب الميكنة ، وإلى جانب ذلك فهو يقوم بالعديد من الأعمال إلى جانب الفلاحة ، إذ يقوم على سبيل المثال ببناء المبانى التى يحتاج إليها العمل فى هذه المزارع ، وفى نفس الوقت هناك نشاط جماهيرى فى مراكز التوجيه ومحو الأمية .

ويلعب هذا المشروع دوراً كبيراً فى عملية تحويل المجتمع الرعوى إلى مجتمع عصرى تسوده علاقات إنتاج أكثر تقدما من علاقات الإنتاج المتخلفة التى كانت تسود المجتمع الرعوى . فلم يكن من الممكن أن تبدأ مزارع الدولة فى مجتمع رعوى إلا بشكل من أشكال التطوع والحماس للعمل .

لقد اندفع البدو الرحل وخاصة الشباب منهم إلى الإندماج فى هذه المزارع ، وأصبح لكل مزرعة نشاطها الثقافى والاجتماعى بل ، وأصبح لكل مزرعة فرقها الرياضية والموسيقية والفولكلورية ، وبذلك تغيرت أيضاً النظرة إلى العمل ، فقد كان الرعاة يحتقرون الفلاحين وعملهم ويستنكفون القيام بأى شيء فى الزراعة .

وفى الوقت الحالى هناك ٧٥٥٠ هكتاراً أقيمت بها المزارع الحكومية ، ٤٠٥٠ أقيمت على أرض مروية و ٣٥٠٠ هكتار على أرض تعتمد على الأمطار ، ويعمل فيها ستة آلاف صومالى معظمهم كانوا من الرعاة . ومن المقدر أن يزداد

هذا كله خلال الخطة الخمسية الحالية (١٩٧٤ — ١٩٧٨) لتصل مساحة المزارع الحكومية فى « برنامج الطوارىء » إلى ١٥٠٠٠ هكتار يعمل بها ١٢ ألفاً .

السنة	مساحة الأرض (بالهكتار)			عدد العاملين
	المروية	بالأمطار	المجموع	
	٥٠٠٠	٤٠٠٠	٩٠٠٠	٧٢٠٠
	٦٠٠٠	٥٤٠٠	١٠٥٠٠	٨٢٠٠
	٧٠٠٠	٥٠٠٠	١٢٠٠٠	٩٦٠٠
	٨٠٠٠	٥٥٠٠	١٣٠٠٠	١٠٨٠٠
	٩٠٠٠	٦٠٠٠	١٥٠٠٠	١٢ ٠٠

بهذا يحقق هذا البرنامج عدة أغراض فى وقت واحد :

أولا : زيادة الإنتاج وحل مشكلة الحبوب التى يعتمد عليها الشعب الصومالى ، وفى نفس الوقت زراعة العديد من المحاصيل الجديدة التى يحجم الفلاح العادى عن المغامرة بزراعتها ، كبدائل للتصدير والكفاية الذاتية مع التركيز على القطن والأرز والقمح وبذور الزيوت والتبغ .

ثانياً : خلق فرص للعمالة فى الريف الصومالى وتغيير شكل الحياة الرعوية .

ثالثاً : يقوم بعمل تعليمى وثقافى ، وبذلك تصل الثورة الثقافية إلى أعماق الريف عن طريق محو الأمية والفرق الثقافية ، والعمل السياسى عن طريق مراكز التوجيه والإرشاد .

رابعاً : تشجع الرعاة على الإستيطان بدلا من الهجرة التى لا ضرورة لها

إلى المدن والتى تخلق مجموعة من الناس لايفعلون أى شىء ويشكلون عبئاً على خدمات المدن وتطورها .

ويلاحظ أن هذه المزارع موزعة فى مناطق زراعية وسكانية وبها خدمات نقل وطرق حتى يمكن نقل المحاصيل بسهولة ، وفى نفس الوقت رؤى أن تكون مساحة المزرعة الواحدة بين ألفين و ٣٥٠ هكتار حتى يمكن استخدام الآلات والخدمات .

٦ — زراعة الموز :

تكاليف المشروع ٦٠ مليون شلن صومالى .

الموز الصومالى من ألذ الفواكه التى ذقتها فى حياتى . أصبع الموز طوله لايقل عن ١٨ سم بأى حال ، ولذيذ الطعم فى نفس الوقت ، كنا نصعد فى الساعة الخامسة مساء إلى مطعم الفندق ونطلب أصبعى موز مع كوب من الشاى المحلى بلبن الجمال ، وكنت أطلق على هذه الفترة « موز بعد الظهر » ، كالعادة الانجليزية التى يطلق عليها « شاى بعد الظهر » .

فى عام ١٩٧٢ زاد الإنتاج من عام ١٩٧١ بنسبة ٣٠ ٪ وأدى هذا إلى فتح أسواق جديدة أمام الموز الصومالى فى الشرق الأوسط وألمانيا الديموقراطية ، وكان مخططاً لعام ١٩٧٣ المبيعات التالية :

٨٦٢ر٢٧٠ كنتال إلى إيطاليا
٦٠٠ر٠٠٠ كنتال إلى الشرق الأوسط
١٠٥ر٤٥٨ كنتال إلى دول أخرى

١٥٦٧ر٧٢٨ كنتال المجموع

وقد تحقق من هذه الكمية ربحاً صافياً مقداره ٤٠٠ر٠٠٠ر٤ شلن صومالى هذا إلى جانب ٥ر٤٢٨ر٠٠٠ شلن صومالى حصلت عليها الحكومة كضرائب .

ويزرع الموز الصومالى فى منطقتين : جينالى — أفجوى ومنطقة جوبا . وكما ذكرنا فإن نوعية الموز الصومالى قد تحسنت ابتداء من عام ١٩٧٢ ، مما أدى إلى زيادة المصدر منه وزيادة العائد كذلك ، ولكن ما زالت هناك مشكلة قائمة هى إنتاج الهكتار من الموز الذى ما زال ضعيفاً بالمعدلات الدولية ، فإنتاج الهكتار فى منطقة جينالى — أفجوى لا تزيد عن ١٢٠ كنتال وهى كمية منخفضة للغاية رغم استخدام بعض الأساليب التكنيكية المتقدمة ، أما فى جوبا فيصل إنتاج الهكتار إلى ١٧٥ كنتال ، وحتى عام ١٩٧٠ كان ٨٠ ٪ من إنتاج الموز يصدر إلى إيطاليا وحدها ، وقد وضعت خطة لمواجهة كل المشاكل زراعة الموز وحلها ، حتى يمكنه المنافسة فى السوق الدولية . فلقد كانت تكاليف الإنتاج مرتفعة ، ثم جاء إغلاق قناة السويس ليزيد من ارتفاع أسعاره فى الأسواق الأوروبية ، ثم أصبحت المسألة أصعب بعد أن ألغت إيطاليا « التعامل الأفضل » بالنسبة للموز الصومالى ، وكان من الأهمية بمكان استدراك الموقف ، ذلك أن الموز يأتى فى المكانة الثانية فى التصدير بعد الثروة الحيوانية ، ولذلك كان القرار بإنشاء المجلس الوطنى للموز ، بدلا من خمس شركات فى القطاع الخاص ، والمهم الآن ليس زيادة الرقعة الزراعية المزروعة موزاً فحسب بل زيادة إنتاجية الهكتار أيضا .

وهناك مشروعات عديدة لتحقيق ذلك ، منها إنشاء خطوط سيارات ثلاجات لنقل الموز إلى «مراكز التجميع» ، وإدخال الأساليب التكنولوجية الحديثة فيها .

التعاونيات :

واستكمالا للبرنامج لابد من الحديث هنا عن التعاونيات ، فإن تحويل الاستثمارات الفلاحية الصغيرة إلى استثمارات تعاونية كبيرة هى الشيء الرئيسى فى حل المسألة الزراعية ، فمن أجل تطوير الزراعة يجب أن تتوحد قطع الأرض الزراعية الصغيرة معاً ، فهذا هو الطريق الصحيح للقضاء على كل أنواع الاستغلال والفقر والإفلاس .

وقد اعتبر لينين التعاون الحلقة الأساسية فى حل مسألة التحرك الاشتراكى فى الزراعة . ذلك أن المصالح الخاصة للفلاحين تقترن بنجاح مع المصالح العامة للدولة ، فهو مقبول ومربح للطرفين ، فالفلاح هو المستفيد الأول من الانضمام إلى التعاونيات وفى نفس الوقت يزداد الإنتاج للامكانيات الأكبر المقامة فى التعاونيات من آلات وأدوات وبذور وأسمدة وقروض ، ويسهل التعاون العمل التسويقى والتسليفى والتموينى وتقديم الخدمات .

وخلال زيارتى للصومال فى اكتوبر / نوفمبر عام ١٩٧٢ كان عدد التعاونيات قد وصل من خلال الجهود التى قامت بها كوادر الثورة حوالى ٦٥ تعاونية زراعية تضم ألفى عائلة . فإذا كان متوسط عدد أفراد العائلة خمسة أفراد ، لأصبح عدد من يعيشون فى ظل التعاونيات حوالى عشرة آلاف صومالى على مساحة قدرها عشرة آلاف هكتار .

ويجب أن نضع فى الاعتبار خوف الفلاح الدائم من السلطة منذ العهود الاستعمارية لقلة ما كان يقدم له من خدمات ، ولم يكن نصيب القطاع الزراعى فى مرحلة الاستقلال أفضل من العهد الاستعمارى ، وفى نفس الوقت وزعت « المساعدات المالية » على الفلاحين الذين عرفوا باسم « الفلاحين الراقين »

والذين كبلوا بهذه المساعدات المالية التى تحكمها المصالح السياسية [1] .

ولقد حاولت العديد من العناصر الفلاحية قبل الثورة أن تلعب دوراً من أجل تجميع الفلاحين ، ولكن معظم هذه التجارب فشلت خاصة وأنها اختلطت بمحاولات الانتهازيين واللصوص الذين دخلوا هذا المجال للاثراء من عرق الفلاح . ولم تنجح إلا تجارب ضئيلة سجلت إحداها فى الفصل التالى بعنوان « كيونة الشيخ على راجى » ، وهى قائمة منذ عام ١٩٦٠ عام الاستقلال وقاومت رغم الظروف الصعبة واستمرت ، وهى تعاونية تقوم على أسس دينية وتشجعها الحكومة الآن .

أما التجربة التى أثرت فىّ كثيراً فهى التى يمكن أن نطلق عليها « تعاونية المجرمين » إن صح التعبير ، والاسم من عندى وإن كان يجب إضافة ... «السابقين» عليه ، وهى تعاونية تضم بعض المجرمين السابقين ، وفى رأيى أنها من أكثر تجارب الثورة الصومالية إنسانية ، ولم يسبق لها مثيل فى تجارب العالم الثالث ، وقد اقترحها الزعيم سياد برى وتابعها بنفسه .

والتعاونية تجمع لعدد من اللصوص السابقين الذين لم يتلقوا أى تدريب أو تعليم ، وفترات سجنهم كانت قصيرة إلى الدرجة التى لم يكن من الممكن معها اكتساب أى مهارات فى أى مجال ، وفى السابق كانوا يعودون إلى شوارع المدن ويمارسون عملياتهم الإجرامية مرة أخرى فيعودون إلى السجن ، وهكذا تستمر الدائرة المغلقة فيقضون معظم حياتهم فى السجون وفى الإجرام وهم بهذا :

---

(١) المهد الجديد ـ « واجا عسب » ـ سبتمبر/أكتوبر ١٩٧٣ السنة الأولى العدد الثامن « الفلاح الصومالى والمهد الثورى » بقلم م . حرسى باهال ص ٧ .

١ — يستمرون كطفيليات عالة على المجتمع .

٢ — إنهم يشكلون خطراً على السكان الآمنين .

٣ — إنهم يؤثرون بسلوكهم على غيرهم وخاصة الشباب .

٤ — عند الإفراج عنهم ، يتطلب الأمر متابعتهم وهذا يستنفذ جزءاً من ميزانية الدولة يمكن أن يذهب إلى التنمية ويمكن أن يساعدهم هم فى بعض المشروعات .

٥ — إنهم قوى غير منتجة وضائعة فى المجتمع .

والدولة من ناحية أخرى تعتبر نفسها مسئولة عن إعادة توجيه هؤلاء الأفراد ومنحهم حياة كريمة يعيشون هم وأسرهم فى ظلها ، وهم فى نفس الوقت ليسوا أقل من المواطنين الذين يشتركون فى مشروعات « ساعد نفسك » والاعتماد على الذات .

ولذلك فإن كل من يفرج عنه منهم يمنح قطعة أرض ليستقر داخل التعاونية ، وتساعد الحكومة هذه التعاونية فى حدود وخاصة فى مراحلها الأولى ، بالآلات والبذور وغيرها ، وبعد الحصاد الأول يمكن لكل فرد أن يستمر ليعيش حياة شريفة ، وفى نفس الوقت يلعب دوره فى الانتاج الزراعى . وتريد الحكومة أن يستمر هذا المشروع لإلتقاط كل المتشردين والمتسكعين بدون عمل فى شوارع العاصمة والمدن الأخرى .

وتعطى الحكومة ٥٠٠ هكتار لهذه التعاونية على خمس سنوات ، وقد بدأ المشروع فى موسم عام ١٩٧٢ بمائة هكتار ويستمر حسب الإمكانيات ، وبدأ المشروع بمائة عضو فى هذه التعاونية منح كل منهم المأوى وبعض الأدوات ليبدأ حياته . . على أساس أن يستدعى كل عضو عائلته لتعيش معه

وتقاسمه حياته على أن يكون لـكل عضو هـكتارين .

ويعيش فى التعاونية كلها مائتى عضو (بدون العائلات) وخطط أن يكون فى قرية التعاونية سوق ومدرسة ومستشفى ، وأن يكون لـكل عائلة قطعة صغيرة من الأرض تزرع فيها احتياجاتها من الخضروات وتربى فيها الدجاج كما تريد .



٢ ــ « كوميونة » الشيخ على راجى

عند ما كنا فى زيارة شمال الصومال ، كان مقامنا فى مدينة هرجيسا فى بيت الحاكم البريطانى السابق حين كان يطلق عليه « الصومال البريطانى » . «قطعة » من الغابات الطبيعية بأشجارها وطيورها . أقام بها فيلا من طابقين ثم بعض الطرق المسفلتة التى تؤدى إليها ، ومن الخارج لا يمكنك أن تشاهدها وسط الأشجار . ولكنك فى الدور الثانى تطل على منظر ساحر آية فى الجمال ، وتستطيع أن تصل ببصرك إلى الجبال والشمس تشرق من ورائها .

وبعد أن كنا نشكو من حرارة الجو فى مقديشيو واللابس وهى تلتصق بأجسادنا من الرطوبة ، شعرنا هنا بالبرد وخاصة فى الليل ، السبب بسيط . وهو أن هرجيسا ترتفع فوق سطح البحر بحوالى ٤٥٠٠ متراً .

فى اليوم التالى كانت زيارتنا لمنطقة عيل بردالى ، حيث تقوم كوميونة الشيخ على راجى . الطريق شاق غير مرصوف يرتفع ليشق الجبل ثم يهبط بعد أن يدور حوله ، وهو لايسع لأكثر من سيارة واحدة . يعيش أهل الكوميونة فى منطقتين كل منهما عبارة عن ست قرى وتبعد الواحدة عن الأخرى حوالى ٩٠ كيلومتراً . مساحة المنطقة الأولى ١٢ كيلو متر مربع !

وصلنا إلى المعسكر الأول فى حضن الجبل ، منطقة جافة جميلة حفرت بها

عدة آبار ، كانت أول بداية للكوميونة عام ١٩٦٠ بعد الاستقلال مباشرة ، بها الآن ١٦٠٠ شجرة فواكه ـ جوافه وليمون وجريب فروت .

وعند المعسكر الثانى صعدنا عشرة كيلومترات فى طريق لا يزيد عرضه عن ثلاثة أمتار على حافة الجبل . وكان فى استقبالنا محمود عيسى وهو وزير زراعة سابق وخريج أحد المعاهد الزراعية البريطانية ، وهذه المنطقة فى مستوى مدينة هرجيسا .

ما هى أغراض هذه الكوميونة ؟ وما الذى يطلب من العضو ؟

قال لى محمود عيسى :

— إننا نطلب من العضو عقله وعضلاته . والمبدأ الأساسى هو العمل وتطبيق المثل الإسلامية . وكل واحد مدعو ليكون عضواً فى الكوميونة بغض النظر عن لونه وجنسه وقبيلته . إن لدينا بعض أعضاء من أصل آسيوى . ولكن فى حالة أى أجنبى عليه أن يقدم ورقة مكتوبة من الحكومة أنه ليس خطراً على الدولة . وعندما يريد أى إنسان أن يصبح عضواً ، فهو يقف أمام لجنة : الغرض الوحيد أن نتوصل إلى جديته فى طلب الانضمام . وبعد أن ينضم العضو ، يعمل ويدرس لمدة سنتين داخل الكوميونة . وعليه بعد ذلك أن يقرر الاستمرار أو يتركنا . وخلال هذه الفترة من حق الكوميونة أيضاً أن تطالبه بتركها إذا صدر منه ما يسىء أو كان كسولا . ونحن لا نحب العضو الذى يجمع النقود لأنه ببساطة ليس لدينا ما نعطيه .

إذن ... ماذا يفعلون بدخل الكوميونة ؟

— تعتمد هذه التعاونية على العمل والأجر . كل من يعمل يأكل . والدخل لا يوزع على الأفراد ... إن كل فرد يحصل على ما يحتاجه بما فى ذلك



فى الكوميونة : الشيخ على راجى يرتدى ملابسه البيضاء (الرابع من يسار الواقفين)
إلى جانب المؤلف (الثالث إلى اليسار) مع مجموعة من الصحفيين الأفريقيين

الشيخ على راجى ، فالدخل يقسم بين الاحتياجات والتنمية ، والاحتياجات توزع على المدارس والملابس والعلاج الطبى . فكل عضو يتدرب هنا لكى يعمل عديداً من الأشياء التى تحتاجها المجموعة : قيادة اللوريات والتراكتورات وتأدية مختلف أعمال الفلاحة وبناء الطرق . بعد ذلك يعمل كل فرد حيث تعتقد الكوميونة أنه يكون ذا فائدة أكثر لاستخدام كل طاقاته . الغرض الأساسى من هذا ألا تتوقف الكوميونة عندما يتركها أحد أعضائها لسبب ما . وعندما ينضم أحد الأعضاء لاتقبل النقود أو الحيوانات أو أى ملكية أخرى ، ولكن كل عضو كان يمتلك شيئاً قبل دخوله يمكنه أن يحتفظ بملكيته .

كيف يدار العمل فى هذه الكوميونة ؟

كل قرية تحت قيادة أحد الأعضاء ، ويشكل الاثنى عشر مسئولا عن هذه القرى « مجلس قيادة الكوميونة » وهم مسئولون عن إدارة العمل اليومى للقرى ، ثم هناك « اللجنة المركزية للكوميونة » وهى تتكون من ست أعضاء برئاسة « الشيخ على راجى » وهو المدير العام فى نفس الوقت . ثم هناك فى داخل اللجنة المسئولين :

- سكرتير التنظيم والشئون الدينية .
- سكرتير الشئون المالية .
- سكرتير الشئون العامة .
- سكرتير الشئون الاجتماعية .
- سكرتير الشئون المحلية .

وتخطط اللجنة المركزية للكوميونة كلها ، ويختار أعضاؤها بالانتخاب السنوى ما عدا الشيخ على راجى . وعمد القرى لا يغيرون إلا إذا اشتكى

منهم أحد وثبت هذا . وقد حدث ذلك عدة مرات .

ثم هناك اجتماع سنوى يضم كل أعضاء الـكوميونة .

والآن من هو « الشيخ على راجى » ؟

بعد أن قمنا بجولة فى الـكوميونة الواسعة الأرجاء جلسنا مع الشيخ تحت ظلال أشجار الفاكهة لنتناول طعامنا من خيرات المزرعة . الشيخ أسمر طويل القامة نحيل ، لحيته بيضاء يرتدى « جلابية » بيضاء وجاكيت أبيض وطاقية بيضاء ، لم يذهب إلى مدرسة ، ولـكنه يقرأ العربية . قال لى :

ـــ خلال الحـكم البريطانى ، كان الاستعماريون يبثون الدعاية الخبيثة التى تقول أن الصوماليين غير قادرين على عمل أى شىء بأنفسهم ، وأن هذه الأراضى لن تنبت شيئاً . وأردت أن أثبت عكس هذا كله ، فلو أثبت أنه يمكن تحويل هذه البرارى إلى مناطق زراعية ، فلماذا لا تتحول بقية المناطق ؟ ويمكنك أن ترى النتيجة بنفسك . لقد بدأنا عام ١٩٦٠ ، وكان هناك بعض الأهالى يعيشون فى هذه المنطقة ، وكنت أعيش فى منطقة أخرى ، ثم تقابلنا لنثبت أن الاستعماريين على خطأ . وضعنا برنامجاً للعمل ، وكان هذا شيئاً هاماً :

كيف استطاع الشيخ أن يجعل الرعاه يستقرون ؟ إن هذه مشكلة المشاكل حتى الآن فى الصومال .

ـــ بدأ الأهالى يتدفقون علينا بعد أن بدأنا ونجحنا رغم أننا لم ننظم أى حملة للعضوية ، ووصل عدد الأعضاء الآن إلى خمسة آلاف من قبائل مختلفة من شمال الصومال وجنوبه ، ثلثى هذا العدد كان من الرعاة واستقرت بهم الحياة هنا . إنهم من البدو يرتحلون من مكان إلى مكان ، وكانت قرانا هى ملاذهم . كنا نعطيهم المـاء والطعام والمأوى دون مقابل ، كنا بهذا نجعلهم

يتذوقون حلاوة الاستقرار . ولقد عرفنا من خبرتنا إنهم يعودون ليستقروا معنا إلى الأبد . تذكر إن ما تراه بعينيك أفضل ألف مرة مما تسمع عنه .

كيف يعش الشيخ ؟

— أنا فى السابعة والخمسين ومتزوج من أربعة حسب الشريعة الإسلامية . وزوجاتى يقمن بالعمل فى الكوميونة كنموذج لبقية النساء . وهن لا يطلبن ملابس زيادة عن الأخريات ، وفى الحقيقة فما لديهن أقل مما لدى الأخريات ، وهن يعملن طوال الوقت ويتأكدن من محافظة الأخريات على تطبيق أحكام الشريعة .

ماذا فعلت هذه الكوميونة للناس ؟

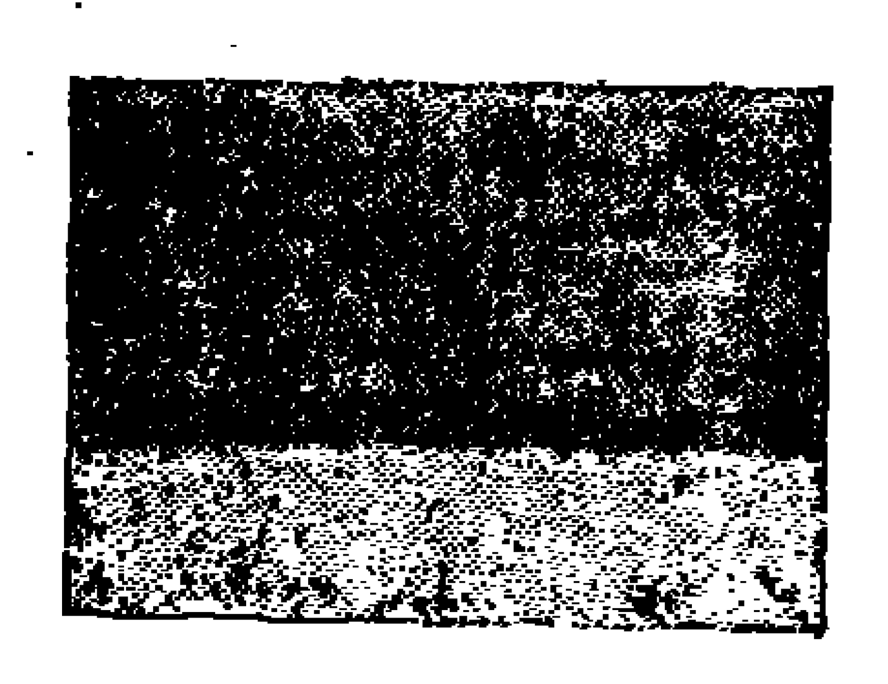
— فعلت الكثير ... الطريق الذى يؤدى إلى قرانا من الطريق الرئيسى ، وطوله حوالى ٣٥ كيلومتراً بناه أعضاء الكوميونة بأيديهم ، ولعلك رأيت أن جزءاً منه طوله ١٥ كيلو متراً قد بنى خلال الطرق الجبلية . لقد استغرق منا ذلك عاماً ونصف عام وقدر أن تكلفته حوالى مليون ونصف مليون شلن . كذلك بنينا طريقاً طوله ٩٠ كيلو متراً من الناحية الأخرى حتى الطريق الرئيسى ، وقد كان ذلك أسهل لأننا تلقينا تراكتور من الحكومة لمساعدتنا .

كذلك رأيت بنفسك المزارع . نحن ننتج الفواكه إلى جانب السورجام والذرة ، وقد نظمنا رى أراضينا من الأنهار باستخدام المرتفعات والمنخفضات الطبيعية فليس لدينا أى آلات للرى ، استخدمنا الطبيعة وعقولنا . وقد طبقنا فى هذا الطريقة الصومالية والطريقة اليمنية فى الحفاظ على التربة : وذلك باستخدام المزارع ذات المستويات المتعددة .

وقد قمنا فى نفس الوقت بانقاذ بعض نقودنا الصومالية التى تذهب إلى الدول الأخرى ، على سبيل المثال « يمضغ » سكان هذه المنطقة ٥٠٠ ألف حزمة من القات يومياً ، كانت تهرب فى المناطق المجاورة للحدود تحت الحكم الأثيوبى ، لذا بدأنا فى زراعته لنصل إلى هذا المعدل فى عام ١٩٧٥ . ونحن ننوى أن نحسن المراعى بين منطقة الكوميونة ، وإن كان ما لدينا الآن لا يزيد عن ألفين رأس من البقر أساساً لتزويدنا باللبن واللحم والمنتجات الأخرى ، إننا بهذا نريد أن نصل إلى توطين عشرة آلاف أسرة فى هذه المنطقـــة .

ما هى النتائج بالأرقام ؟

— كل الفواكه تباع فى ميناء بربرة وجيبوتى أما السورجام فيودع ويخزن لاستخدام الأعضاء . وصلت المبيعات عام ١٩٧٢ إلى ١٠٠ ألف شلن صومالى ، نحصل على بعض المعونات الدولية من « برنامج الغذاء العالمى » ولكننا لا نعتمد عليها كثيراً . هناك مدرسة ابتدائية لأولاد الأعضاء ونخطط لبناء مدرسة إعدادية وأخرى ثانوية . ثم مدرسة إبتدائية ثانية لتخدم أبناء الأعضاء فى المنطقة الثانية لأن المسافة بعيدة . ونأمل أن نقيم مستشفى صغير مع طبيب يأتى ولو يومين فى الأسبوع وهذه مهمة صعبة ، إذ هناك نقص عام ، ولا نعرف كيف نلبى احتياجاتنا فى هذا المجال .



٣ — أرض الإبل

الشعب الصومالى حتى الآن شعب من البدو الرحل ، إذ ما زال ٨٠ ٪ منه يعيش على رعى الإبل والماشية ، حتى أن كلمة الصومال ذاتها تصب معانيها كلها فى الإبل . إذ يصف أوائل المستكشفين الاسم بأنه مركب من مقطعين « صو » وتعنى ذهب و « مال » وتعنى يحلب ، وهم ينسبون هذه الزواية إلى تقاليد الكرم لدى أهل البلاد ، الذين ما زالوا يستخدمون حتى وقتنا هذا ، تلك الكلمات عند ما يزورهم ضيف ، فيطلبون إلى أحد أفراد الأسرة أن يذهب لحلب الحيوانات للضيف . وقد حدد العرب الأوائل معنى الكلمة على أن يكون هجاؤها « دومال » وتعنى « شعباً ثرياً فى الماشية » . فمنظر الراعى الصومالى مع جمله هو المنظر الطبيعى هناك .

والصومالى لأنه بدوى يجرى خلف الجمال ، فهو نحيل طويل القامة رشيق أجعد ناعم الشعر قادر على تحمل المشاق ، وفى استطاعته أن يواصل الحياة ويعيش فى ظروف قاسية من الحرمان ، قادر على السير الطويل دون أن يشعر بالاجهاد . وفى إمكانه الاستغناء عن الطعام والاستعانة بالماء القليل أو بالحليب لمدة طويلة .

إنه راع بكل معنى الكلمة .

والصومال من أوائل دول العالم الغنية بالثروة الحيوانية . فنسبة السكان إلى عدد رؤوس الحيوانات بها هي واحد : خمسة . والسبب إن ٨٠٪ يعتمدون بشكل مباشر على الرعي . لذلك نجد كثيراً من أغاني الرعاة عن الإبل بالذات التي يحبها الصومالي أكثر من حياته ، لأنها هي حياته بالفعل . في إحدى الأغاني على سبيل المثال ، يظهر الراعي للابل مدى حبه حتى أن موت حبيبته ليس خطباً جليلا بالقياس إلى فقدان ناقته :

عند ما تموت المرأة
يبدأ الرجل بالعناية بمظهره
لكي يتزوج ثانية !
أما بفقداني
فإن أسراً بأكملها سوف تتضرر
وسيكون بمثابة فقدان النسل !
أما فقدانك
فسينتج عنه وعاء فارغ
ومجاعة ![1]

— وهو يغني لها لتشرب الماء فيقول :

ستذهبين إلى الأرض الجدباء ، عديمة الماء
وستحرمين من الماء ثلاثين يوماً
فاشربي كفايتك من هذا الماء يا « صلب »

---

(١) عمر أونوح : « الثقافة الصومالية وتراؤها العظيم » : مجلة العهد الجديد ـ واجا عسب ـ العدد ٥ ـ مارس ١٩٧٢

اشربيه برشاقة كما أحب

لكي تشربي الصافي منه فقط ![1]

من الخصائص البيئية للصومال إذن ، أنها بلد ذات اقتصاد رعوى ، ولا تزال الزراعة فيها محصورة فى المناطق التى يمكن ريها على جانبى نهرى جوبا وشيبيللى وفى بعض المناطق الأخرى حيث يمكن زراعة بعض الأراضى على القليل من مياه الأمطار والمياه الجوفية .

وحتى الآونة الأخيرة ، فإن الماشية لم تكن تشكل اقتصاداً راقياً كما هو الحال فى أوربا ، بل كان الهدف الأساسى من تربية الماشية هو تزويد الأسرة بالطعام ، وهو وضع يتغير الآن تدريجياً عن طريق برامج تضعها وزارة الثروة الحيوانية .

وتعتمد الحيوانات على المراعى الطبيعية ، وعموماً فإن الراعى الصومالى لا يقدم لها أى غذاء إضافى اللهم إلا فى حالات خاصة عند ما تكون مريضة ولا يمكنها الوصول إلى أراضى الرعى ، ولكن حتى فى هذه الحالة ، فإن الغذاء يتمثل فى العشب أى منتجات المراعى الطبيعية .

والعامل الذى تحاول الوزارة التغلب عليه لأنه يحد من تنمية الثروة الحيوانية ، يتمثل فى المياه ، وبصفة خاصة فى التوزيع الموسمى للأمطار . أما النباتات المنتشرة فهى من أعشاب السافانا الشائكة والشجيرات . ثم توجد أعشاب الاستبس الصحراوية فى الأقاليم الشمالية وفى المناطق العليا من نهر جوبا وعلى طول المجرى المنخفض للنهرين وفى المنخفضات الطبيعية حيث

(١) نفس المصدر السابق .



الجمل هو رفيق البدوى الصومالى

توجد السافانا[1] .

ولقد كانت الصادرات من الحيوانات لا تشكل فى عام ١٩٦٠ سوى ٢٨ ٪ من مجموع صادرات الصومال ، ولكنها قفزت فى عام ١٩٦٩ ، لتصبح ٥٥ ٪ وإذا أضفنا الصادرات من جلود الحيوانات اقفزت النسبة إلى ٦٣ ٪ ومعنى ذلك أن الثروة الحيوانية هى أكبر مصدر للعملات الأجنبية[2].

ويوضح آخر تقرير لمصلحة الطب البيطرى خاص بالتطعيم الوقائى والعلاجى الذى يتم سنوياً أن أعداد الحيوانات كالتالى :

الأبقار	٤٫٠٠٠٫٠٠٠
الجمال	٣٫٠٠٠٫٠٠
الماعز	٨٫٠٠٠٫٠٠٠
الأغنام	٧٫٠٠٠٫٠٠٠
الخيول	١٢٠٫٠٠٠
الحمير	٢٥٫٠٠٠

هذا إلى جانب الدجاج الذى يصل عدده إلى ٢ مليون .

والجمال التى تربى فى الصومال جمال عربية ذات سنام واحد وهى اقتصادية بسبب تحملها للعطش . أما الأغنام فمعروفة إذ أنها بيضاء ورأسها أسود وشعرها قصير بلا صوف ، والأبقار من نوع الدربانى لونها أحمر غامق وبسنام .

المهم إذن بالنسبة للثروة الحيوانية هو تنميتها على أساس علمى سليم .

---

(١) أبو بكر حسين : تربية الماشية فى الصومال ـ مجلة العهد الجديد واجاعسب ـ سبتمبر / أكتوبر ١٩٧٣

(2) Development Programme 1972—1973 P. 44

وكانت البلاد قد أصابها قحط شديد في بداية الثورة (١٩٦٩). ومن ثم فقد وضعت خطة حتى عام ١٩٧٣ تعتمد على ثلاث مسائل أساسية :

(١) مكافحة أمراض الحيوان عن طريق توفير الأمصال بالمجان وإنشاء مراكز الخدمة البيطرية وتوعية الرعاة .

(٢) إنشاء مناطق للرعي والتسمين .

(٣) تنمية الموارد المائية في مناطق الرعي[1] .

والاتجاه العام الآن هو تطوير الهيكل الكلي لتسويق الماشية ومنتجاتها [تصدر الماشية الصومالية الآن للسعودية واليمن الديموقراطية والخليج العربي وإلى كينيا ، أي أن التصدير الأساسي للدول العربية] . فنتيجة لتركيب الملكية والسوق تظل تربية الحيوانات عاجزة عن التطور المستمر ما لم توضع بعض الأنظمة العلمية ، وفي نفس الوقت وضعت الترتيبات لتطوير تجارة الجلود المدبوغة والخام[2] .

وإلى جانب تصدير الحيوانات هناك مصنعان الآن لتعليب اللحوم ، الأول تمتلكه الحكومة في كسمايو في الجنوب وقد أقيم بمساعدة الاتحاد السوفيتي ، وهو ينتج ١٠٠ ألف علبة يومياً من ٣٠٠ رأس من البقر وتصدر المعلبات التي ينتجها المصنع إلى الاتحاد السوفيتي وألمانيا الغربية . وقد أقيم هذا المصنع عام ١٩٦٧ . وتشترى مؤسسة اللحوم للأبقار للمصنع الذي يصدر جلود الأبقار المذبوحة إلى إيطاليا ولبنان . كما يصدر المصنع بعض اللحوم المثلجة إلى جزر كومورو .

---

(1) Somalias' Socialist Revolution construction : P. 112—Ministry of information - oct. 1973

(2) Development Programme 1971—1973— P. 54—Ministry of Planning—Mogadishu 1972.

وفي مقديشيو مصنع آخر لتعليب اللحوم قدرته ١٥٠ رأساً في اليوم الواحد ، وهو قطاع خاص ويصدر المعلبات إلى أوربا .

والمصنعان لا يستغلان المنتجات الثانوية .

الثروة السمكية :

تمتلك الصومال ساحلا من أطول سواحل العالم ، يمتد في المحيط الهندي من رأس كيامبوني إلى رأس غردفوي ، وفي خليج عدن من رأس غردفوي إلى باب المندب . ويبلغ طول هذا الساحل ٣٢٠٠ كيلومتراً .

الغريب في الأمر أن الصوماليين لا يأكلون السمك ، ولا يأكلون إلا اللحوم ، إنهم لا يحبون أي شيء من البحر رغم توافر كل منتجاته . يمكنك أن تلتهم الاستاكوزا الكبيرة الحجم والرخيصة الثمن ، أو أسماك البحر الأحمر أو المحيط الهندي ... أنواع عديدة ليس لها أول ولا آخر . عندما كنت أطلب سمكا على الغذاء كان أصدقائي الصوماليون ينظرون إلى كما لو كنت آكل ثعباناً .

لذلك أنشئت في التعديل الوزاري الأخير عام ١٩٧٣ وزارة خاصة للأسماك والنقل البحري ، من مهماتها تشجيع الشعب على أكل السمك حتى يمكن خفض نسبة استهلاك اللحوم التي يتناولونها بكثرة . ولا شك أن هذه عادة مكتسبة من الرعي ومن الصعب تغييرها بسهولة .

كان الصيادون لذلك فئة محتقرة في المجتمع يطلق عليهم إسم جيلاباتو ، وخلال مرحلة الاستقلال استورد عدد من النواب لنشات واستأجروا عليها صيادين ولكنهم كانوا يستولون على ثلاثة أرباع ما يحصل عليه الصياد .

كان الاستغلال بشعاً ، فترك الكثير من الصيادين مهنتهم ، لذلك ترى عدداً كبيراً من اللنشات المهجورة فى سواحل علولا وقندلا . وهذا هو السبب فى أن هذه الفئة كانت تلتهب بالحماس الثورى فكانوا يشكلون عدداً من العناصر الصلبة فى حزب رابطة الشباب الصومالى(١) .

لذا كانت أهم الخطوات هى تشجيع الصياد الصومالى بإنشاء الجمعيات التعاونية ، وتحديد أسعار عادلة للأسماك المختلفة ، ودراسة وسائل الصيد البحرى ، ومعرفة مواسم تكاثر الأسماك ، واستيراد سيارات ثلاجات لنقل الأسماك وبيعها داخل البلاد .

ولعل أهم الإجراءات فى هذا المجال توقيع اتفاقية مشتركة مع الاتحاد السوفييتى فى يولية ١٩٧٣ لتوفير الأموال والمعدات وفتح الأسواق لاستغلال الثروة المائية ، وتشمل البعثة السوفييتية لهذا العرض سفينتين تجاريتين وسفينة مسح وسفينتى صيد ، ويدير هذا المشروع مجلساً من ستة أعضاء ثلاثة من كل جانب .

وقد قدرت الإمكانيات الأولية للثروة المائية حول سواحل الصومال ، بحوالى ثلاثة ملايين طن مترى من الأسماك سنوياً . والأسماك مختلفة الأنواع ، ويفكر المسئولون فى إقامة مصانع تعبئة على طول الساحل فى خليج عدن على الأخص أن أسماك التونا توجد بكثرة فى المياه الصومالية ، والصومال الآن لا تنتج أكثر من ثلاثة إلى خمسة آلاف طن سنوياً من الأسماك .

---

(١) دور وزارة الأسماك والنقل البحرى فى التنمية ـ العهد الجديد سبتمبر / اكتوبر ١٩٧٣ ـ محمود اسماعيل .

الفصل السادس

الثورة الثقافية

« قبل ثورة اكتوبر كانت المؤسسات التعليمية والثقافية فى المجتمع الصومالى تعطى الفرصة للبورجوازية المحلية والاحتكارات الأجنبية كل عناصر تقوية أوضاعها السياسية والاقتصادية ، وهذا معناه زيادة استغلال الجماهير . لذا فقد كان من الضرورى أن تكون هناك ثورة ثقافية تغير هذه الأوضاع . إننا نعتبر أن النضال من أجل إصلاح ومقرطة التعليم لا يمكن أن يحدث إلا فى إطار توحيده مع النضال من أجل تحويل المجتمع كله وبمحتوى ثورى تقدمى (1) » .

ولقد شهدت الصومال خلال احتفالها بالعيد الثالث لثورتها (اكتوبر ١٩٧٢) خلال زيارتى أكبر حدثين فى مجال الثورة الثقافية وهما تأميم المدارس الخاصة وكتابة اللغة الصومالية .

---

(1) Brief theoritical outline of 21 st october Revolution By P.R.O P44—45.

وليس معنى هذين القرارين أنهما اتخذا فجأة ، بل لقد سبق إعلانهما دراسات استمرت طويلا من أجل القضاء على الأمية وتحقيق ديموقراطية التعليم حتى يمكن المضى قدماً فى التنمية الاقتصادية .

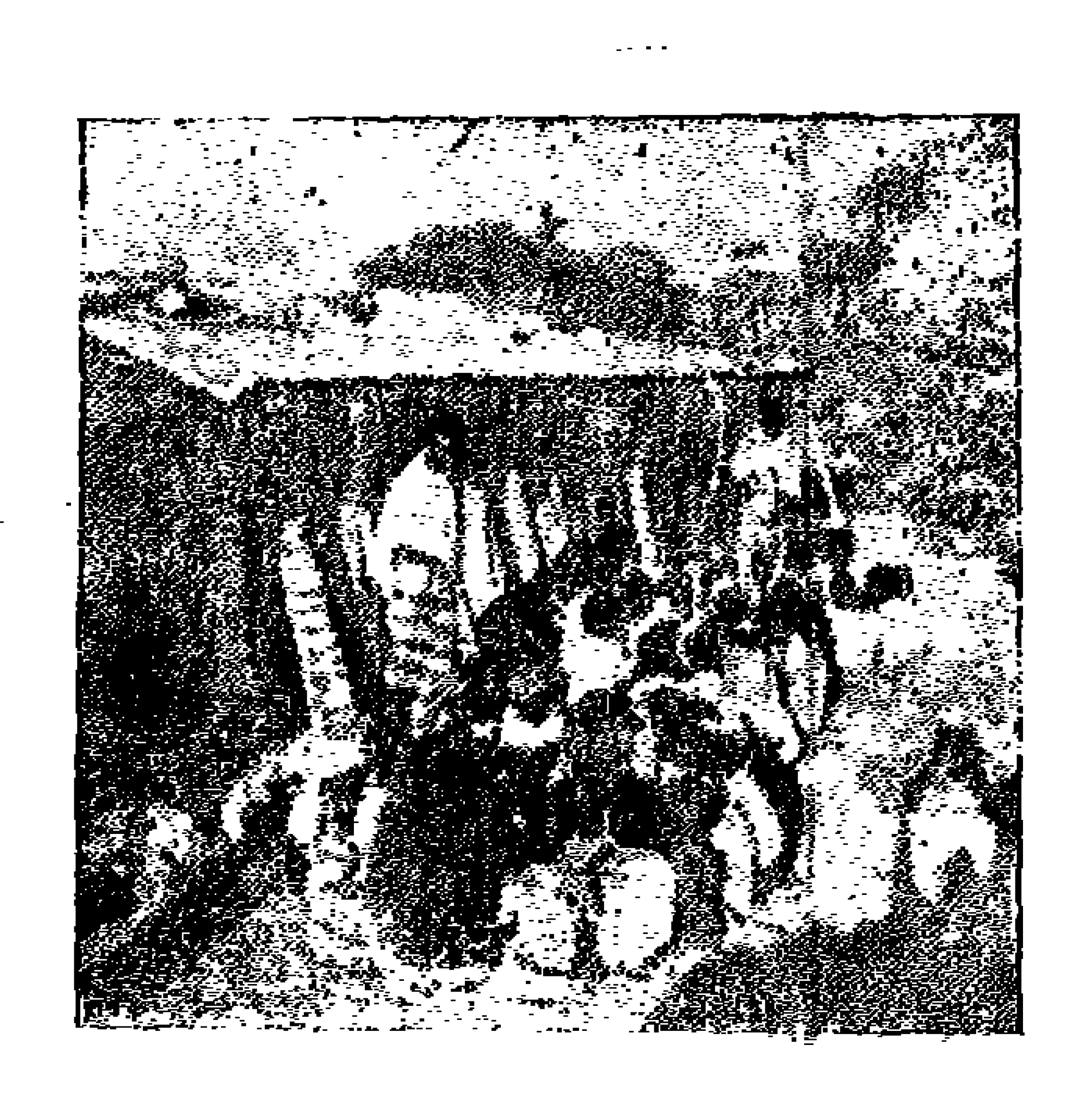
وقد أصبح من أبرز المسائل فى حياة الصومال الثقافية هو إعادة إحياء الثقافة الوطنية الصومالية التى حدث بتر لتطورها الطبيعى خلال القرن الماضى من الحكم الاستعمارى للصومال . وكان من نتائج ذلك أن تعرض الذكاء الطبيعى للشعب الصومالى للتثبيط والعجز فى المقدرة الفكرية . كان هذا هو الواقع ، حيث كان من العوامل الجوهرية فى سياسة الاستعمار الأوروبى تحطيم القيم الثقافية حتى يتحطم الشعب ، وإحلال أسلوب الحياة الغربية الذى لا يخرج عن كونه تمجيداً أجوفاً للأفكار الاستعمارية واحتقاراً للثقافة الصومالية[1] .

لقد قام البريطانيون فى الماضى بنشر أعمال أدبية ومتنوعة وكذلك الايطاليون ، ولم يكونوا موضوعيين قط فى تناولهم لمشاكل الثقافة الصومالية ، وهم يعتمدون فى ذلك على جهل الأوروبيين من قرائهم بتاريخ أفريقيا الثقافى وحضارتهم القديمة . ولقد تعلمت الشعوب الأفريقية التى استعبدت لفترة طويلة ولا زالت تعانى من آثار الاستعمار أن فرض تلك الثقافة الأجنبية يؤدى فى الواقع لا إلى ضياع المنابع الأصيلة للشعوب الأفريقية فحسب ، ولكن ضياع أراضيها كذلك . وإن مقدرة الثقافة الوطنية الصومالية على إعادة تجديد نفسها والإبقاء على منابعها عبر القرون الماضية لهو تعبير عما تتصف به من ثراء ومن تغلغل جذرى فى حياة الشعب . ومن ناحية أخرى ، إذا لم يكن هناك أساس ثقافى متين شيدته الأجيال الصومالية السابقة والذى شيدت فوقه الأجيال

(١) الصومال الجديدة ـ وزارة الإرشاد ـ ص ٦١ .

المتعاقبة بدورها الصرح الشامخ للثقافة الوطنية الصومالية ، وإذا لم يكن شعب الصومال من الشعوب الخلاقة التي تحمل حضارة قديمة غنية ، وإذا لم يكن بين أفراده من برع في الفنون والعلوم ، لما كان هناك ما نطلق عليه اليوم الثقافة الصومالية .

لقد كان من الممكن أن يضيع جوهر الثقافة الصومالية من أدب ولغة وتقاليد ، التي تميز شعب الصومال عن الشعوب الأخرى ، تحت تأثير الثقافات الأجنبية ، خاصة وأنه لم يكن للشعب الصومالي لغته المكتوبة .



١ ــ لغة تكتب فى السبعينات

الشعب الصومالى فى كل مكان كأن يتكلم لغة غير مكتوبة . الشعب الصومالى فى « الصومال الإيطالى » و « الصومال البريطانى » سابقاً والأراضى الصومالية الموجودة تحت السيطرة الفرنســية والأثيوبية والكينية حالياً يتحدثون باللغة الصومالية . وإذا أراد الإبن أن يراسل أباه فهو يكتب له بلغة أجنبية عنه .

سألت واحداً من المذيعين أثناء زيارتى لمبنى الإذاعة كيف تقرأ براجك باللغة الصومالية ؟

قال لى أغرب إجابة : إنه يكتب باللغة الإيطالية فى ورقة ، ثم يترجم على « الهواء » مباشرة ويتحدث بالصومالية .

ولكن كل هذا انتهى فى اكتوبر ١٩٧٢ ففى خلال الاحتفالات بعيد الثورة الثالث تقرر أن تكتب اللغة الصومالية بحروف لاتينية ، واتخذ قرار بأن تحل اللغة الصومالية محل اللغات الأخرى خلال ثلاثة أشهر .

وبدأت حملة فى الإذاعة والجرائد اليومية فور إعلان القرار . عندما كنت أنزل من الفندق الساعة الثامنة صباحاً لأشترى « نجمة اكتوبر » أجدها

قد نفذت . السبب أنها تنشر صفحة كاملة لتعليم اللغة الصومالية . الإذاعة كثير من برامجها موجه للشعب لتعليم اللغة وهكذا . كنت أمشى فى شوارع مقديشيو فأجد تجمعات من الصوماليين حول واحد يمسك فى يده بالجريدة يقرأ لهم الحروف الجديدة .

وكان موضوع اللغة الصومالية مثار مناقشات عديدة منذ الاستقلال . ولكن فى يناير ١٩٧١ تم تشكيل لجنة من ١٢ عضواً ينحصر عملها فى ثلاث نقاط :

١ — كتابة الكتب المدرسية للمدارس الأولية .

٢ — كتابة « الأجرومية » الصومالية .

٣ — عمل قاموس للغة الصومالية من عشرة آلاف كلمة .

وانقسمت اللجنة إلى أربع لجان فرعية :

(ا) لجنة القاموس .

(ب) لجنة اللغة .

(جـ) لجنة التاريخ والجغرافيا .

(د) لجنة العلوم والرياضيات .

وكان الاتجاه لكتابة اللغة الصومالية بواحد من ثلاثة أحرف : اللاتينية والعثمانية والعربية . ثم اتخذ المجلس الأعلى للثورة القرار بكتابتها بالحروف اللاتينية .

هكذا بدأ لأول مرة فى تاريخ الصومال الهجوم على الأمية ، وبدأ العمل للمحافظة على التراث الفنى من الشعر الصومالى والأدب القديم والقصص والأغانى الشعبية .

وقد خطرت فكرة كتابة اللغة فى رأس الشيخ يوسف الكونين الذى عاش منذ ٩٠٠ سنة فى مكان يسمى « دوغر » وهى مدينة قديمة ما تزال آثارها باقية بجوار مدينة « هرجيسا » فى الشمال حيث يوجد مثواه . ومع أن الشيخ يوسف لم يقم بمحاولة لكتابة اللغة ذاتها ، إلا أنه ساهم فى فكرة تدوين اللغة الصومالية ، حيث اخترع نظاماً صومالياً لقراءة حركات التشكيل فى اللغة العربية بطريقة لا يزال يستخدمها دارسوا القرآن حتى الآن . وهكذا تمكن التلاميذ الصوماليون منذ تلك الفترة من معرفة الكثير عن الأصوات الصومالية الأساسية بطريقة موحدة ، لهذا السبب كان لطريقة الشيخ يوسف تأثيراً مباشراً على اللغة الصومالية المكتوبة[1] .

وكان الشعور السائد عند نهاية القرن الماضى ، بأنه لابد من وضع اللغة الصومالية فى قالب مكتوب ، وهكذا بذلت عدة محاولات لاكتشاف طريقة لضبط هجاء اللغة . وقام السيد محمد عبد الله حسن الذى ظلت عبقريته وكبرياؤه الوطنى شيئاً فريداً فى تاريخ الصومال ، بكتابة الكثير من أشعاره باللغة العربية .

ثم اخترع عثمان يوسف كينديد حروفاً ما زالت تعرف حتى اليوم باسم « العثمانية » ، وكان لها أسلوبها وأصالتها وكان ذلك منذ أربعين عاماً ، وكان حزب « رابطة الشباب الصومالى الوطنى » يقوم خلال سنوات كفاحه من أجل الاستقلال فى الأربعينات بتدريس هذه الأحرف سراً ، كما قام بتدوين مكاتباته السرية بالعثمانية .

لقد صاحب كتابة اللغة الكفاح من أجل الاستقلال الوطنى . واتخذت الثورة قرارها بكتابة اللغة .

---

(١) الصومال الجميلة — ص ٦٥ .

ثم جاءت الخطوة التالية فى ٧ مارس ١٩٧٣ .

أعلن قائد الثورة محمد سياد برى عن حملة « محو الأمية » وقال أنه يجب القضاء على الأمية فى غضون عام ١٩٧٤ وبدأت الحملة من الطلبة والموظفين فى الحكومة والقطاع العام وفى القوات المسلحة وكل من يعرف القراءة والكتابة ، ولم يكن المكان مشكلة : فى أى مبنى وتحت الأشجار فى الريف ، وقدمت الحكومة الطباشير والسبورات والكتب .

ولا شك أن الحماس الثورى الذى استقبلت به الجماهير فى إعلان كتابة اللغة الصومالية هو نفسه الذى تحركت به الجماهير فى حملة « محو الأمية » . وأتذكر الآن اكتوبر ١٩٧٢ عندما اتخذ القرار ، كانت طائرات الهليكوبتر تحلق فوق الجماهير وتلقى بآلاف الأوراق الزاهية الألوان وليس بها غير الحروف الجديدة مكتوبة بخط كبير .

وسرعان ما انبثقت « لجان محو الأمية » من المستوى القومى حتى الأحياء لتعبئة الجماهير والتنسيق بين جهود المدرسين ومراكز الإرشاد واللجان المختلفة . لم يترك أى شىء للصدفة . لقد اندفعت كل اللجان الشعبية فى هذا الاتجاه ، وأخذت فرق الجولواديال تحمس الناس و « تنقب » عن المتخلفين وتشجعهم وبدأت المنافســـة بين الفرق والمجموعات والأحياء وكانت الجوائز تمنح للمتفوقين ، والشارات تعلق على أعلام الأحياء . واستخدمت التجمعات الجماهيرية من أجل البناء مثل « مشروع الطوارىء » و « ساعد نفسك » فى تعليم اللغة ، ولم يكن الناس فى حاجة إلى الحملة .

وفى بنفس الوقت أعطيت مهلة ثلاثة أشهر لموظفى الحكومة والقطاع العام لكى يتعلموا القراءة والكتابة باللغة الصومالية .

ومن أجل التطور التالى أنشئت وزارة « الثقافة والتعليم العالى » فى مارس ١٩٧٣ وخصصت لها مبالغ لعمل كتاب دراسى فى اللغة وأنشأت كذلك

« لجنة للغة الصومالية » لتستكمل دراسة خصائص اللغة وتقاليدها . إذ أن قرار كتابة اللغة ليس سهلا كما نتصور ، فمن المفروض أن يتم تعليم كل التلاميذ باللغة الصومالية ، وبالتالى يحتاجون إلى كتب باللغة الجديدة وهذه الكتب تحتاج إلى من يكتبها .

وبعد ثلاثة أشهر كان على الموظفين أن يجتازوا جميعاً امتحان اللغة الصومالية ، نجح ٧٠ ٪ منهم أما الباقون فأعطوا فرصة ثلاثة أشهر أخرى . وأعلن أن اللغة الرسمية فى المكاتبات الحكومية هى اللغة الصومالية .

ثم جاء الامتحان الأول بعد دراسة ثلاثة أشهر . التاريخ ٢٥ يونية ١٩٧٣ الجد العجوز يحمل حفيده على ذراعه ، الجدة تنظر إلى حفيدتها ومدرستها فى نفس الوقت . الموظفون . العمال . الفلاحون . الطلبة . الجنود . الضباط .

ماذا يعنى نجاح حملة محو الأمية ؟ (1)

أولا : أن أمة قررت أن تناضل من أجل حياة أفضل لابد وأن يكتب لها النجاح مهما كانت الصعاب .

ثانياً : أن الاعتماد على النفس أصبح جزءاً لايتجزأ من تكوين الأمة الصومالية . فهذه المشكلة لم يكن من الممكن أن تحل إلا من خلال الصومال نفسها .

ثالثاً : أن المسألة لم تستغرق أكثر من ثلاث سنوات لتسليح الشعب الصومالى بالأسلحة التى مكنته من تحسين ظروفه . إن الجماهير تدرك بغريزتها أين هى مصلحتها وهى مستعدة للعمل والتضحية دون حاجة من الأجهزة

---

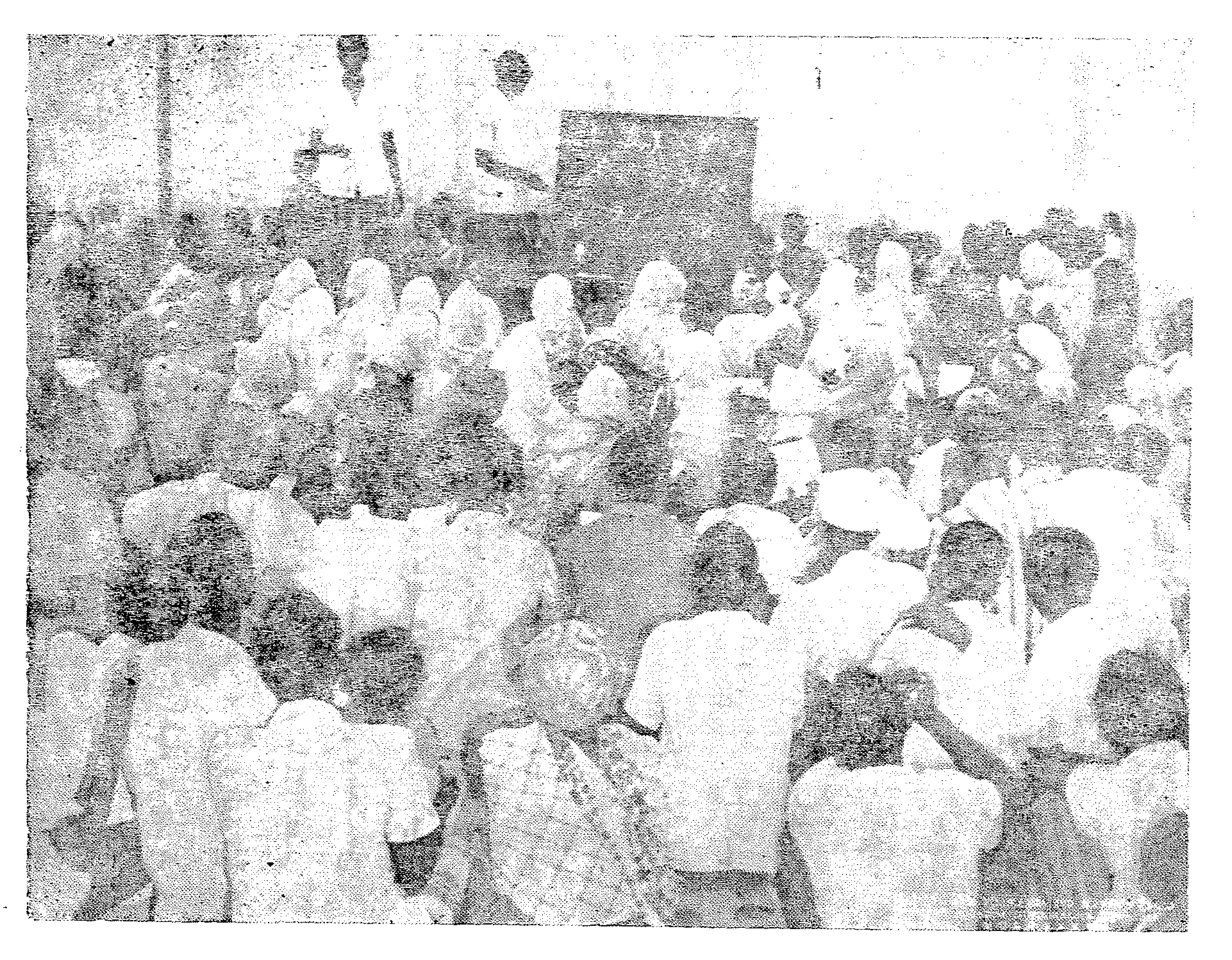
(1) Somalias' Socialist Revolutionary Construction 1969-1973.
طبع وزارة الإرشاد الصومالية ـ أكتوبر ١٩٧٣ ـ ص ١٧٣ .

الحكومية للتدخل فى كل شيء . إن أى مقياس للتقدم يحققه الشعب الصومالى يتولد من كمية تحركه .

رابعاً : أنه مهما كان المستقبل يحمل فى طياته ، فإن الصومال جزء من أفريقيا المتحدة لذا فإن الشعب الصومالى يقدم نفسه لأمه أفريقيا شعباً قضى على أميته .

خامساً : أن التجربة الصومالية فى الأمية أصبحت الآن نموذجاً يحتذى لكل الدول الأفريقية المستقلة حديثاً والتى تعانى من هذه المشكلة العويصة ، وبذلك لم تعد أفريقيا فى حاجة إلى استيراد الخبرة فى هذا المجال من خارجها .

لقد كان من أول من التحق بفصول محو الأمية فتاة صومالية فى الخامسة والثلاثين من عمرها ... صماء ... لا تسمع أى صوت من العالم كله . لكنها صممت أن تتعلم اللغة الصومالية الجديدة ، أن تكتبها بدون استخدام الوسائل السمعية الحديثة ، ولم يكن هناك غير إرادة مدرسها الذى صمم على تعليمها . إنها الآن من التلاميذ المتوفقين . إنها الرمز المتجسد لتصميم الشعب على أن يتعلم ويبنى حياته من جديد ، إنها فى حد ذاتها إنجاز عظيم للثورة الصومالية وتصدير لمبادئها الباقية ، إنها تذكرنى بقصة مماثلة فى « حملة محو الأمية » فى كوبا الثورة ... عجوز كانت « عبدة » عند أحد الإقطاعيين وبلغت من العمر أرذله ، ولكنها صممت على أن تتعلم القراءة والكتابة ، وتعلمت بتصميم الفتاة الصومالية الصماء ، ثم قررت أن ... تكتب كتاباً عن تجربتها فى العبودية ثم كيف تعلمت القراءة والكتابة ، « وإذا الشعب يوماً أراد الحياة ، فلا بد أن يستجيب القدر ، ولا بد للقيد أن ينكسر » !



في إحدى مراكز محو الأمية تجمع الناس من كل الأعمار يتعلمون القراءة والكتابة

٢ — زيارة للدوكسيات الصومالية

« إن التعليم هو الوسيلة الوحيدة التى بواسطتها نقود شعبنا نحو النور ، بكل سرعة وليونة ممكنة ... إنه أيضاً مفتاح التطور فى كل مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية » .

سـيـاد برى

قال لى مرافقى :

— هذا واحد من الدوكسيات الصومالية !

كان أمامنا كوخ من أعشاب الأشجار ومغطى بالصفيح لمنع المطر ، يسع بين ١٥ إلى ٢٥ طفلا يدرسون على يدى الشيخ . واتضح أن الدوكسيات ليست إلا الكتاتيب التى كانت منتشرة فى قرانا لتعليم القرآن وبعض الحساب والشيخ فى الدوكسى هو الناظر والمدرس وصانع الحبر (من اللبن والفحم) . ويكتب التلاميذ على اللوحة وهى تختلف عن « اللوح » الذى نعرفه فى أنها أطول بكثير . هناك أطفال فى الرابعة وفى الخامسة وأكبر من ذلك والجميع يتعلمون لمدة عامين يتشربون بالمبادىء الأساسية للاسلام والقرآن .

وعندما حصلت الصومال على أستقلالها عام ١٩٦٠ ورثت نظامين مستقلين ومختلفين من التعليم واحد فى الشمال فى الصومال الذى كان تحت الحماية البريطانية ، والآخر فى الجنوب فى أراضى الصومال التى كان يديرها الإيطاليون تحت إشراف الأمم المتحدة . ولم يختلف هذان النظامان من حيث عدد السنوات لكل مرحلة من مراحل التعليم الثلاث ولغة التعليم فحسب، ولكنه اختلف كذلك فى محتوى التعليم نفسه . وبالإضافة ذلك ، فبينما كانت مدارس التعليم الأولى والإعدادى موجودة فى أنحاء كثيرة من البلاد ، كان التعليم الثانوى محدوداً فى نوعيته ولا يتوفر إلا فى العاصمة وبلاد قليلة فى الشمال[١] .

وكان من مهام الحكومة :

أولا : توحيد نظام التعليم فى كل أنحاء الصومال .

ثانياً : وضع الخطط لتوسيع التعليم وخاصة المرحلة الثانوية .

وفى عام ١٩٧٠ وصلت مرحلة توحيد التعليم إلى نقطة أتمت عندها أول مجموعة من التلاميذ ثمانية أعوام من التعليم بمقتضى المنهج الوطنى الجديد .

ما هى فلسفة التعليم فى جمهورية الصومال الآن ؟

إن التعليم يرتبط بالتنمية الاقتصادية تمام الارتباط . ولذا لا يمكن أن تكون التنمية فى مجال التعليم هدفاً فى حد ذاتها ولكن لا بد وأن تكون جزءاً لا يتجزأ من التنمية الاقتصادية ، من هنا ضرورة أن يلبى التعليم احتياجات الأمة . واستراتيجية تنمية التعليم هى[٢] :

(١) الصومال الجميلة ـ التعليم ـ ص ٣١

(2) Development Programme 1971 - 1978 - Ministry of Planniug & coordination - Mogadishu 1971, Page 147

(١) تحسين نوعية التعليم بتدريب المدرسين وتحسين الأجهزة الخ .

(٢) زيادة عدد الخريجين الذين تحتاجهم البـــلاد للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ويشمل هذا زيادة إمكانيات تدريب العمال المهرة وأنصاف المهرة وتنويع المدارس الثانوية وامتدادها لـكل المناطق .

(٣) توسيع التعليم ليشمل أكبر عدد ممكن من التلاميذ وزيادة نسبة البنات فى المدارس .

(٤) تغيير مواقف الأطفال والتلاميذ من خلال التعليم حتى يؤكد القيم الأخلاقية والاشتراكية والاعتماد على النفس وإنـكار الذات .

(٥) محو الأمية تدريجياً فى كل أنحاء الأمة .

(٦) تنمية الثقافة الوطنية والتراث .

وخلال العام الدراسى ١٩٦٩ — ١٩٧٠ كان عدد كل التلاميذ فى كل المستويات ٤٢٫٧٠٤ فى المدارس الحـكومية ، بينما كان عددهم ١٢٫٨٦٧ فى المدارس الخاصة : والجدول التالى يبين هذا العدد وتطوره إبتداء من العام الدراسى ١٩٦٥ — ١٩٦٦[١] .

---

(١) نفس المصدر السابق ١٤٢ .

نوع المدرسة	مستوى التعليم	١٩٦٥/١٩٦٦		١٩٦٩/١٩٧٠	
		العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
حكومية	إعدادى	٢٣ر٢٨٨	٧٥ر٦	٢٣ر٨٤٢	٥٥ر٨
	متوسط	٥ر٥٩٠	٢٨ر٢	١٤ر١٢٩	٣٣ر١
	ثانوى	١ر٤٥٥	٤ر٧	٤ر١٨٥	٩ر٨
	عالى	٤٥٣	١ر٥	٥٤٨	١ر٣
	المجموع	٣٠ر٧٩١	١٠٠٪	٤٢ر٧٠٤	١٠٠٪
خاص	إعدادى	٥ر٦٠٢	٦٥ر٢	٧ر٧٤٧	٦٠ر٢
	متوسط	٢ر١٨٧	٢٥ر٤	٣ر٢٦٥	٢٥ر٤
	ثانوى	٨٠٤	٩ر٤	١ر٨٥٥	١٤ر٤
	المجموع	٨ر٥٩٣	١٠٠٪	١٢ر٨٦٧	١٠٠٪
جميع المدارس	إعدادى	٢٨ر٨٩٠	٧٣ر٣	٣١ر٥٨٩	٥٦ر٨
	متوسط	٧ر٧٨٢	١٩ر٨	١٧ر٣٩٤	٣١ر٣
	ثانوى	٢ر٢٥٩	٥ر٧	٦ر٠٤٠	١٠ر٩
	عالى	٤٥٣	١ر٢	٥٤٣	١ر٠
	المجموع	٣٩ر٣٨٤	١٠٠٪	٥٥ر٥٧١	١٠٠٪

من هذا نلاحظ ضآلة عدد المدارس الثانوية المنتشرة فى جميع أنحاء البلاد حتى أنه فى العام الدراسى ١٩٦٥ — ١٩٦٦ لم يكن تلاميذ هذه المدارس يشكلون أكثر من ٥ر٧ ٪ من مجموع التلاميذ فى المدارس الحكومية والخاصة على السواء ، ورغم أن هذه النسبة قد ازدادت إلى حد ما فى العام الدراسى ١٩٦٩ — ١٩٧٠ إلا أنها لم تصل إلا إلى ١٠ر٩ ٪ من مجموع التلاميذ .

وفى نفس الوقت كان من الملاحظ زيادة عدد المدارس الخاصة فى كل مراحل التعليم باستثناء التعليم العالى . وكان القادرون يرسلون أبناءهم إلى جامعات الخارج . ورغم أنه اتخذ قرار عام ١٩٦٩ بإنشاء جامعة صومالية إلا أنه لم يوضع موضع التنفيذ آنذاك ، وكان هناك معهدان يمكن أن يعتمد عليهما إنشاء الجامعة . كان هناك معهد فى مقديشيو أنشىء عام ١٩٥٤ يوازى دراسة سنتين ويدرس فيه القانون والاقتصاد والدراسات الاجتماعية . وفى عام ١٩٦٨ أنشئت كلية التربية بأفجوى لتخريج المدرسين بعد أربع سنوات من الدراسة .

وقد شهد العيد الثالث للثورة — خلال زيارتى للصومال أيضاً ، إجراء ثورى آخر فى مجال التعليم فى نفس الوقت الذى اتخذ فيه قرار كتابة اللغة الصومالية ، اتخذ قرار تأميم المدارس الخاصة ، فأعلن الرئيس سياد برى :

« إبتداء من العام الدراسى الحالى ، أممت جميع المدارس الخاصة فى القطر الصومالى ، وكذا أممت المبانى ووسائل التعليم وكل ما هو مرتبط بالتدريس ، وكذلك المطابع الأهلية .

إننا نقدر تماماً أننا سنواجه بعض الصعوبات المبدئية فى إدارة جميع المدارس ، ولكننا مقتنعون بضرورة القيام بهذا العمل واستحالة تأخيره . وإنما نميل إلى الاعتقاد بأن عملنا هذا سيلقى التقييم والتقدير اللائقين به من جانب الدول والمنظمات التى ستتأثر تأثيراً فورياً ومباشراً بتلك الإجراءات » .

وبهذا القرار انتهت فوضى المدارس الخاصة وتعدد أنظمتها ، وأمسكت الدولة بإدارتها وتمكنت من أن تضع بنفسها خطة قومية للتعليم .

وكانت النتيجة أنه فى عام ازداد عدد تلاميذ المدارس الإعدادية فى العام الدراسى ١٩٧٢ / ١٩٧٣ بنسبة ٤٠ ٪ من العام الذى قبله ، وفى بداية عام ١٩٧٣ أصبح هناك توازياً إقليمياً فى التعليم فلم تعد إحدى المناطق تحظى بنصيب الأسد ، بينما منطقة أخرى تعانى من النقص فى المدارس أو المدرسين ، وفى نفس الوقت توسع التعليم الثانوى حيث افتتحت مدارس ثانوية جديدة فى هرجيسا وميركا وبوراما وبورعو وبيدوا ، وفى عام ١٩٧٤ / ١٩٧٥ تحتفل الصومال بأن يتوحد تعليمها فى كل أنحائها ، سبب التأخير مرة أخرى هو المدارس الخاصة التى أممت عام ١٩٧٢ .

واتخذت خطوات حاسمة وفعالة لإنشاء كليات جامعة مقديشيو . التربية ، والحقوق ، والاقتصاد ، والزراعة والدراسة فيها أربع سنوات ثم كليات الرياضيات والفيزياء والهندسة والدراسة فيها سنتين ، ولكن تدرس الآن إمكانية تطوير كل هذه الكليات حتى تتوائم مع احتياجات الأمة وخطة التنمية .



٣ ـــ الثقافة الثورية

« كلما سمعت شاعراً أو فناناً صومالياً يلقى شعره أو يغنى ، اجتاحتنى مشاعر عميقة . . إنها حياة وجداننا القومى ... إنها حياتنا التى بدونها (أى الثقافة والفن الصوماليين) لا يمكن أن نكون أمة ذات سيادة » .

سياد برى
١٩ / ٦ / ١٩٧١

منذ قامت الثورة ، وكأنما بركان انفجر فى كل مجال من المجالات الثقافية ، لقد انطلقت الطاقات الخلاقة للجماهير فى الشعر والمسرح والأغانى والموسيقى . ولأن الجماهير تشترك فى صنع حياتها بنفسها وتصوغ إرادتها بيديها ، فقد انطلقت الجماهير تغنى للبناء والغد وللاشتراكية ، فهناك أغانى عن محو الأمية مثلا ، وهناك أغانى منبثقة من شعارات الثورة عن المساواة والبناء والاشتراكية ، وهذه الأغانى لم يؤلفها المتسلقون والزاحفون ، بل أحياناً لايعرف مؤلفها ، لقد انبثقت من الجماهير بشكل تلقائى ثم طورها بعض المؤلفين والملحنين .

فالأغنية الحديثة فى الصومال ، تعبر عن آمال الجماهير وذكرياتها حلوها ومرها ، وهى المرآة الصادقة التى تعكس لنا مشاعر الجماهير من خلال تعبير الفنان ، وتعتبر سجلاً دقيقاً للظروف التى مرت بها البلاد، وتعتبر كذلك مرحلة من مراحل تطور الفن الأدبى المنظوم(1) .

ولعل أشهر أغنية ترددها الجماهير الصومالية فى كل مجال ، حتى لقد حفظت جزءاً منها هى أغنية « جولولد سياد آبهى جراشادا » وتقول :

يا قائد البلاد إلى الطريق الواضح .. المستقيم
يا طويل العمر .. ها نحن قد أخذنا الاتجاه الصحيح
فكن ماسكاً .. كن ماسكاً للزمام .. مدى الحياة

•

لأجل الغلبة على أعدائنا .. ولندوسهم بأقدامنا
كن ماسكاً للزمام .. كن قائداً للبلاد
كن ماسكا ..

•

من يعترض على هذا .. فليذهب إلى حيث شاء
أو .. فليمت بغيظه
كن ماسكا ..

ثم عن ثورة أكتوبر يغنى أحمد ناجى لعلى سجلى :

---

(1) من مقدمة الأستاذ عمر إسماعيل طرابلسى فى كتابه « أدب الثورة » الذى أصدرته وزارة الإرشاد والإعلام الصومالية عام ١٩٧٢ . وقد سجل فيه المؤلف الأغانى الصومالية وبذل جهداً كبيراً فى ترجمتها إلى العربية فى لغة سلسلة جميلة ، والأغانى التى أقدمها هنا هى نقل عن ذلك الكتيب .

اكتوبر سحاب لمع برقها فى السماء
أمطرت لنا وأنبتت الكلأ
أشرقت بها الأرض .. وفرحت بها الجماهير
تخلصنا من الذل .. هدمنا القبلية

ثم تغنى موجول لعلى سجلى أيضاً أغنية من أحد شعارات الثورة التى تلخصت فى أن « من تعرف أصبحت ملغاة وجاءت بدلا منها ماذا تعرف » :

جاء القرار بإلغاء القبلية .. فماذا تعرف .. ؟
هذا طريق واضح .. فماذا تعرف .. ؟
هناك منافذ واختبار حر .. فماذا تعرف وماذا تفيد .. ؟
لقد انهار عهد « من تعرف » .. تعثر ذلك العهد وسقط
فات أوانه وانتهى .. فماذا تعرف .. ؟

ثم يغنى محمد أحمد من كلمات عثمان آدم عن العمال فيقول :

دعنى أقول أن العمال هم شرف البلاد وعمودها الفقرى
هم الذين يبحثون فى التربة .. يصنفونها ويستخرجون المعادن ..
إن العمال هم شرف البلاد وعمودها الفقرى ..
هم عماد الحياة .. لا أصابهم مكروه .. هم حبل الصلة .

ثم تغنى فرقة وابرى من شعر عبدى محمد عن الأخلاقيات الجديدة التى يجب أن تنبذ كل ما هو براق ونعتز بكل ما هو وطنى أصيل :

لنتوقف عن اقتناء الأشياء البراقة ... الكاذبة التى تجرح اقتصادنا
لنعتز بزينا وعيشنا ... لنعتز بهما دائماً

وهناك الأغانى المعروفة باسم الأغانى الحديثة « هيلوين » وهى واسعة

الانتشار ومشتقة من أغانى الرقص الشعبى[1] فمن أغانى الحب أغنية « كليل ». وكليل هو الموسم الشديد الحرارة ، وفى هذه الأغنية يصف المغنى فتاته وكأنها شجرة وارفه الظلال يستريح تحتها من شواظ شمس كليل :

أنت يا هبو
لذيذة مثل الشجرة الوازفة
الذى ينشده
من قام بأشق الأعمال
وساق الجمال المحمولة
فى عز هجير موسم « كليل » .

ويفخر المغنى بنفسه فى بساطة :

حلفت باسم الله الخالق . .
إن على المرء ألا يبتلع الحديد !
وألا يركل جبلا بقدمه !
وألا يقف أمام مياه الفيضان !
لأن الحديد سيقطعك
ومياه الفيضان ستغرقك
والجبل سيكسر قدمك !

ولقد سعدت بمشاهدة فرقة وابرى للفنون الشعبية عدة مرات خلال زيارتى . إن الموسيقى الصومالية موسيقى غريبة تختلط فيها الأصوات .. صوت

---

(١) العهد الجديد — العدد ٧ اكتوبر ١٩٧٢ — أغانى الفولكلور بقلم عمر أونوح .

عميق مبحوح صادر عن محارة كبيرة كأنه آت من الغابة الأفريقية أو من أعماق أفريقيا السحيقة ، ورنين الأجراس ، ودقات الطبول الأفريقية العالية ، وأصوات الوحوش وتغريد الطيور . إن الموسيقى الصومالية خليط من هذا كله .

ويستلهم أعضاء الفرقة رقصاتهم وأغانيهم وموسيقاهم من حركة الجماهير من أجل البناء ومن نضال أفريقيا كلها من أجل التحرير ومن العلاقات الإنسانية فى المجتمع الصومالى وهو فى نفس الوقت ملتصق بالطبيعة ملازم لها .

ولم يكن الشباب الصومالى يقبل على حفظ الأغانى الصومالية وترديدها قبل الثورة ، كانوا يشعرون بالضياع بين الجرى وراء الأغانى الأجنبية ... بعضهم كان يجرى وراء الأغنية الغربية والموسيقى الغربية بتأثير ثقافتهم وثقافة عائلاتهم ، والبعض الآخر كان يجرى وراء الأغانى الهندية بتأثير الفيلم الهندى . ثم جاء برنامج الأغانى المختارة على المسرح الوطنى بمقديشيو العاصمة ، مساء كل أحد من كل أسبوع ويستمر خلال الثمانية أشهر الأولى من العام من يناير حتى أغسطس . وقد عرض فى عام ١٩٧٣ ، ٣٥ مرة على خشبة المسرح وبلغ عدد المتفرجين ٤٢٧ ألف صومالى ٨٠ ٪ منهم من الشباب من كلا الجنسين . لم يصدر قرار بمنع الأغنية الغربية أو الفيلم الهندى ، ولكن سمح فقط للأغنية الصومالية أن تدخل فى مجال السباق ليلة واحدة فى الأسبوع . وكانت النتيجة باهرة ، لقد أقبل الناس على الحضور حتى لقد كانت سلطات الأمن تجهز قوة من رجال البوليس للحفاظ على النظام وكان هذا تعبيراً عن الظمأ للفن الصومالى .

وسرعان ما انتشرت فرق الهواة بين الجماهير ، وتحولت فرق شعبية كثيرة إلى الاحتراف ، وأصبحت الأغنية الشعبية الصومالية على كل لسان .

لقد وجد الشعب ما يعبر عن أحاسيسه وآماله وأحلامه !

— ويقدم الفن المسرحي الخامة المناسبة لتعبير الشعب عن أحاسيسه الوطنية وأمانيه وآماله فى التقدم ، وقد حدث انتعاش سريع فى فنون المسرح التى تنتشر الآن انتشاراً سريعاً وواسعاً ، وتقبل الجماهير الصومالية على المسرح الآن . والموضوعات التى تقدمها المسرحيات تعبر عما فى وجدان الشعب : صرخة مدوية عن الوحدة الوطنية ، وحدة تراب الوطن الممزق ، والمحافظة على الاستغلال الوطنى ، والقضاء على القبلية ، وأهمية الثقة بالنفس والعمل الجاد ، وتحطيم دور الاستعمار ، والرغبة فى حماية تطوير القيم الثقافية الوطنية لمقاومة الهجوم الضارى من جانب المؤثرات الأجنبية ضد الثقافة الصومالية . وهو يعبر فى نفس الوقت من مشاكل المجتمع الصومالى وأسبابها التى تصفيها الثورة .

ولقد شاهدت مسرحية طريفة عرضتها الجمعية المسرحية التابعة للجيش الوطنى . المسرحية اسمها : « هاويز وعلاط » . إنهما يمثلان الجيل الجديد وكلاهما من جنود الجيش الوطنى . ولكن هناك أيضاً « مرة » وهو رجل ثرى متوسط العمر ومن ذوى النفوذ ، إنه يريد أن يمتلك الجميلة « هاويز » معتمداً على ملايينه وعلى مركزه الاجتماعى . إن هذه مشكلة موجودة الآن بالفعل فى المجتمع الصومالى الذى يريد أن ينتقل من « من تعرف » إلى « ماذا تعرف » ، المجتمع الصومالى الذى يريد أن ينتقل إلى تقاليد ثورية جديدة ويترك القيم القديمة البالية . و « هاويز » و «علاط» على وعى بالمطالب الجديدة المرجوة من جيلهما وبدورهما فى المجتمع الجديد ، وأنه لا يجب أن يعترض شىء وجه الشباب المتحمس لتحقيق رسالته الاجتماعية . وفى نهاية المسرحية يقهر الإصرار المتفائل من الشباب وجهات النظر التقليدية العقيمة التى تتصدى لوقف تيار التقدم الاجتماعى . فلا حياة بغير العمل ، ولا تطور اجتماعى

بذونه ، هذا هو القانون الذى عرفه الإنسان من قديم الزمان .

ويلاحظ أن هناك حيوية خلاقة فى المجتمع الصومالى ، فقد شب جيل جديد من الشعراء وهم يسيطرون حالياً على المسرح ، ويقدمون فى أعمالهم الشعرية صورة لميزات وصفات الحياة الصومالية الجديدة . ورغم التباين الشديد بينهم فموضوع أشعارهم الرئيسى هو التعبير عن العواطف الوطنية الشعبية وأفكار الحرية والوحدة والسلام والتقدم الاجتماعى . وقد قدمت الأجيال الصومالية السابقة شعراء بارزين من بينهم المناضل الوطنى محمد عبد الله حسن ، ووصلان عرابى ، وجمعان وكثيرين غيرهم ممن ينظر إليهم على أساس أنهم واضعى الأساس للشعر الصومالى الكلاسيكى الذى تناقلته الأجيال أباً عن جداً بالحفظ عن ظهر قلب لأنه ليس هناك لغة مكتوبة .



الفصل السابع

الحركة الجماهيرية

« هيّا نعتمد على قوتنا أولا وقبل كل شيء ، وعلى مقدرتنا ، وعلى أنفسنا . فإذا تبقى بعد ذلك شيء نفتقده ، أو إذا كانت هناك فجوة يجب ملؤها ، فليس من العار حينئذ أن نطلب المساعدة » .

سياد بري

١٩٦٩/١١/١

طلبت أن أشترك بنفسى ولمـدة يوم أو أكثر فى برنامج « ساعد نفسك » ، ولـكن ازدحام برنامج الزيارة لم يتح لى سوى زيارة سريعة لمدة نصف يوم ، ولم يكن لى غير شرف الاشتراك لمدة ساعة فى نقل أحجار واحد من المشروعات مع الجماهير الصومالية ، وكان ذلك خلال زيارتى لمدينة هرجيسا فى الشمال ، فلقد كنت مضطراً فى نفس الوقت إلى زيارة أحد مراكز الإرشاد لمتابعة اجتماع تخرج أول فرقة من فرق الجولواديال فى حى من الأحياء .

فرغم عدم وجود حزب حتى الآن إلا أن الصومال تموج بحركة جماهيرية واسعة من أجل البناء والتعمير والمشاركة السياسية ، وهذه واحدة من خصائص الثورة الصومالية .

إن الصومال الآن ليست دولة البورجوازية ، بل هى أساساً دولة الديموقراطية الثورية لمجموع العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة فى المدن ، وهى لا يمـكن أن تؤدى رسالتها إلا بتخطى إطار الديموقراطية البورجوازية الزائفة التى سادت فترة من الاستقلال ، وعلى الدولة الآن باعتبارها دولة كل الشعب العامل الثورية المعادية للامبريالية أن تنجز مرحلة التطور غير الرأسمالى وتحول الثورة عبر العديد عن المراحل الانتقالية إلى ثورة أشتراكية . ويظهر تقدم الثورة فى شـكل تدعيم نفوذ أكثر القوى ثورية فى مجرى النضال ، أى الطبقة العاملة والفلاحين ، ويبدو هذا التقدم فى المجال الاقتصادى حيث

تحد علاقات الملكية الخاصة والرأسمالية وتدعم أشكال الاقتصاد الاجتماعية في القطاع العام والتعاونيات .

ولقطاع الدولة في الصومال من السمات ما يؤكد أنه يحد قبل كل شيء من مجال المشروعات الرأسمالية الخاصة في الاقتصاد القومي ، وإن كانت الدولة تسمح بنشاط القطاع الخاص في مجالات محددة له إذ من المفيد أن يستثمر أمواله فيها . ويخلق القطاع العام القوى الإنتاجية ويطورها في شكل تنظيمي يلائم الانتقال إلى الملكية الاشتراكية ، وهو يوفر الظروف اللازمة لاستخدام الخبرات التي جمعتها البلاد الاشتراكية في التخطيط والتصنيع وتعاونيات الإنتاج الصغير وغيرها من أشكال تشريك الإنتاج لصالح التقدم الوطني . فليس لقطاع الدولة الآن أي طابع رأسمالي وهو يستخدم لصالح الشعب العامل ، ومع تزايد دور الطبقة العاملة عددياً وتزايد نفوذها على قيادة البلاد يتخذ القطاع العام تدريجياً سمات تحوله إلى أساس مادي للاشتراكية ، ويتحول القطاع ذاته إلى تكوين اقتصادي اشتراكي .

لم يكن هناك طبقة بورجوازية في الصومال بالمعنى العلمي للكلمة ، ولكن البيروقراطيين وملاك الأرض والانتهازيين ليسوا أعداء الاحتكارات الامبريالية ، بل هم بالأحرى حلفاء لها إذ تساعدهم على الإثراء السريع . وتهتم كل هذه العناصر بزيادة المنح الكبيرة التي تعطيها اسم الدول الاستعمارية السابقة ، وهم مستعدون مقابل ذلك أن يطلقوا يدها في صناعة وتجارة بلدانها ، ولا تعمل هذه الدوائر الحاكمة شيئاً في التطبيق لوضع حد لبناء الاقتصاد على محصول واحد ، وهم مستعدون لتأجير بلادهم للسوق المشتركة [1] .

---

(١) « رينيه ديمون » : L'afrique Neire esr mal Portie : Rene' Dumont



اندفع الشعب الصومالى يبنى حياته الجديدة بحماس . حتى الأطفال اشتركوا فى برنامج « ساعد نفسك »
وها هم هنا يشتركون فى بناء فندق جوبا بالعاصمة الصومالية

ولكن بعد ثورة أكتوبر لم يعد لهؤلاء مكان ، فأحد المكونات الهامة للثورة ، « مقرطة » الحياة الاجتماعية والسياسية ، بجذب قطاعات واسعة من السكان للمساهمة فى النشاط الاجتماعى والسياسى والإدارى .

وتستهدف الثورة بذلك تطوير مبادرات الجماهير — مهندسة وصانعة التاريخ — ووضع حد لسيطرة فئات الموظفين البيروقراطيين ومجموعات السياسيين الذين كانت تحركهم القبلية والمنافع الشخصية ، فلم يكن من الممكن تنفيذ كل ما رأيته بعينى فى الصومال دون اشتراك الجماهير مشاركة فعلية وليس بالكلام ، فهى القوة الأساسية التى تريد القضاء دون مهادنة على التخلف الذى طال قروناً بأكملها .

ومن أجل مقرطة الحياة السياسية والاجتماعية ، كان أول واجب هو تحطيم الجهاز البيروقراطى القديم الذى خلفه الاستعماريون والمعزول عن الشعب والمعارض له ، وقد تحقق جزء كبير من هذا بتعيين شباب صومالى كفء فى عديد من المناصب الهامة فى الحكومة والوزارات ومؤسسات القطاع العام ، وإن كانت ما زالت بعض الأجهزة وخاصة البوليس فى حاجة إلى غربلة كبيرة .

لقد أدى نشر التعليم والحركة الاقتصادية والاجتماعية ، إلى ظهور قادة جدد انبعثوا من صفوف الشعب يعرفون احتياجاته ويدافعون عن مصالحه ، من خلال تنشيط النقابات والتنظيمات الجماهيرية الأخرى والاعتراف بحقوقها وبدورها السياسى الهام فى الدولة وخاصة الشباب ، وتحرير المرأة وجذبها إلى الحياة السياسية الاجتماعية النشطة ، وتنشيط الفلاحين وتجنيدهم للمساهمة فى الإصلاحات الزراعية وتربيتهم سياسياً ، وجذب الشعب العامل لإدارة الإنتاج

والتوزيع وتمكين الشعب من الاستمتاع تدريجياً بمزايا المدنية للقضاء على التخلف وخاصة فى مجالات الصحة والتعليم .

إن التقدم عبر الطريق غير الرأسمالى نحو الاشتراكية يتم الآن بجبهة واسعة من العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة فى المدن . ويقود هذه الجبهة الضباط الثوريون ، إلى جانب المثقفين التقدميين ، ولكننا يجب أن نضع فى اعتبارنا تطور وديناميكية دور الطبقة العاملة الثورية التى لها مصلحة حتى نهاية الشوط فى الثورة الاشتراكية ، إذ لا تتحقق قيادة الطبقة العاملة من خلال المراسيم والقوانين ولكن بالكفاح اليومى الشاق من أجل تدعيم نفوذها على القطاعات الواسعة من السكان ، فعلى هذا الأساس وحده تستطيع البروليتاريا أن تحقق قيادتها الثورية للجبهة المتحدة .

ويجب أن نلاحظ أن للبورجوازية الصغيرة طاقات ثورية ، وهى نشطة الآن وبعض عناصرها ثورية حقيقة . ويمثل مثقفو البورجوازية الصغيرة والطلبة والضباط الشبان عنصراً نشطاً للغاية فى الثورة الصومالية ، وهم يعبرون عن مصالح الشعب العامل ، رغم إن عدداً منهم ينحدر من عائلات غنية وخاصة تجار الماشية ، وقد جذب أكثرهم التطور السريع للثورة فأصبحوا فى مجرى النضال دعاة متحمسين لأفكار الاشتراكية العلمية . إن الانتيليجنسيا (أى فئة المثقفين) كقوة وسيطة بين البورجوازية والشعب العامل ، تتبع الطبقة التى تصنع التاريخ فى لحظة معينة ، وهم الآن يرون بأعينهم المسار الثورى للصومال ، وفى نفس الوقت فإن المثقفين التقدميين فى كثير من الأماكن فى الصومال الآن يقودون حركة الجماهير ، لأنهم استطاعوا أن يروا أبعد مما تراه غالبية السكان الأميين ، إنهم أحبوا الشعب وتحركوا من أجل مصالحه . ولأن طبقة العمال قليلة العدد ، يلعب المثقفون الآن دوراً بارزا مع الضباط الشبان .

إن الجماهير تدرك الآن إنه ليس ثمة هوة تفصل بينهم وهم فى مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية — وبين التحول الاشتراكى للمجتمع ، بل إن هناك صلة مباشرة بين المرحلتين ، وإذ تنجز الثورة الأهداف التى طرحتها فإنها تصل بالبلاد إلى الاشتراكية عبر طريق التطور غير الرأسمالى .

إن دور هذه « الدولة الوطنية الديموقراطية » إدارى انتقالى إن صح التعبير . إن مهمتها هى تعبيد الطريق أمام الجماهير وبكفاحها واشتراكها ، للانتقال من مجتمع رعوى تسوده العلاقات القبلية المتخلفة ، إلى مجتمع اشتراكى متقدم .

●

إن مساهمة الجماهير النشطة فى الحياة السياسية شرط لا غنى عنه من أجل التقدم الاجتماعى والاقتصادى العميق الجذور . ولا يمكن إجراء انتقال حقيقى إلى الطريق نحو الاشتراكية إلا بإخضاع كل أشكال الحياة الاجتماعية والاقتصادية الجديدة لصالح الجماهير الشعبية ، فلن تتوافق الثورة مع مصالح الشعب الأساسية إذا ما اقتصرت على إجراءات تقوم بها القيادة فقط وهى على قمة السلطة .

المكتب السياسى

(مكتب العلاقات العامة)

ولقد بدأ تنظيم حركة الجماهير بعد قيام الثورة مباشرة بإنشاء « مكتب العلاقات العامة » الذى تحول اسمه الآن ليصبح « المكتب السياسى » وسكرتيره الكابتن محمد عمر وهو ضابط سابق شاب ، ولقد تحدثنا عن هذا المكتب فى الفصل الذى تحدثنا فيه عن « مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية »

وقلنا أنه نواة الحزب وأن الأمور تسير الآن لإعلان الحزب فى خطوات ثابتة ولـكن غير متعجلة . فالأفضل أن تـكتشف كل الأخطاء وأن يولد الحزب من خلال العمل ، بدلا من أن يكون الحزب هيكلا فارغ المضمون بعيداً عن الجماهير التى تقبل الآن على العمل الجماهيرى وتشترك فيه .

وتظهر ثورية هـذا الشـكل من خلال قرار توسيع نشـاط مكتب للعلاقات العامة :

جمهورية الصومال الديموقراطية

رئاسة المجلس الأعلى للثورة

الموضوع : افتتاح فروع لمـكتب العلاقات العامة التابع للمجلس الأعلى للثورة فى مقاطعات ونواحى الجمهورية .

إلى جميع حكام المقاطعات فى مقارهم .

إلى جميع ضباط التنمية وشئون النواحى فى مقارهم .

إلى جميع قواد القوات المسلحة .

مقديشيو

صورة إلى جميع الوزارات مقديشيو .

صورة إلى مكتب العلاقات العامة مقديشيو .

صورة إلى جميع المؤسسات المستقلة فى مقارها .

نظراً لضرورة وأهمية تنظيم النشاطات الثورية للشعب فى جميع أصقاع الجمهورية ، فإنه تم اتخاذ قرار بإصدار تعليمات تنص على أنه يجب على مكتب العلاقات العامة التابع للمجلس الأعلى للثورة أن يوسع دائرة نشـاطه إلى المقاطعات والنواحى . ولهذا الغرض ، يجب تنفيذ التعليمات التالية :

١ – يجب وضع جميع مراكز الإرشاد القومى الموجودة فى المقاطعات والنواحى والمأموريات والقرى تحت إشراف وإدارة مندوبى مكتب العلاقات العامة.

٢ – ستكون هذه المراكز بمثابة « فروع محلية » لمكتب العلاقات العامة، حيث يعمل كل فرع تحت إشراف المكتب الأعلى منه.

٣ – يعين مكتب العلاقات العامة التابع للمجلس الأعلى للثورة والموجود مقره الرئيسى فى مقديشيو، لكل فرع محلى مندوباً مسئولا، ويتولى المندوب المذكور، بمساعدة السلطات المحلية فى دائرته ما يلى :

(أ) الإشراف على إرشاد وتوعية الجماهير الشعبية على التربية الصحيحة لمبادىء الاشتراكية العلمية، والتعبئة الشعبية لإقامة نظام اقتصادى واجتماعى سليم فى البلاد، وشحذ الوعى السياسى والوطنى للعمال والفلاحين والطلبة المثقفين وجميع المواطنين.

(ب) يتعاون مع حكام المقاطعات والنواحى وضباط الأمن، ومع جميع الجهات الحكومية المختصة فيما يتعلق بالدفاع عن الثورة وعن منجزاتها.

(ج) يتولى إعداد وإرسال تقارير مفصلة إلى الرئاسة حول الإنجازات التى يتم تحقيقها، وحول سير الأعمال فى جميع مراكز الإرشاد القومى، وذلك طبقاً للتعليمات الواردة فى هذا المنشور.

(د) يرسل تقريراً شهرياً حول الوضع العام لكل منطقة اختصاص، وحول التقدم والإنجازات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى يتم تحقيقها.

(ه) يعمل على الاستفادة من الأعمال الوطنية المدرسين والمثقفين

المحليين فى ظل الاتفاق التـام مع أعضاء المجلس الثورى للمقاطعة والمجلس الثورى للناحية . ويجب عليه تنظيم وتنسيق أعمال الجماهير الشعبية (العمال ـ الطلبة ـ النساء ... الخ) .

(و) يجب الإسراع فى تشكيل لجان لتنمية الوعى السياسى الوطنى لـكل مواطن والعمل من أجل تقوية روح المسئولية وحب الوطن فيهم .

(ز) يجب إفساح المجال للثوريين الحقيقيين المخلصين وتمـكينهم من المشاركة فى الإرشاد النشيط للجماهير .

(ح) تعليم الجماهير مبدأ « العمل الجماعى والتعاون » فى جميع المجالات ، وذلك بغية تحقيق النتيجة النهائية التى هى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والتى يجرى العمل من أجلها فى جميع أنحاء الجمهورية .

(ط) « تشخيص » و « إزالة » المعادين للثورة والرجعيين والجواسيس ، أعداء تقدم ورفاهية الشعب الصومالى .

يجب على مندوبى مكتب العلاقات العامة فى مختلف القرى والنواحى والمقاطعات ، وفى المصالح الحـكومية ، أن يعيشوا وسط الجماهير ليتعرفوا عليها ، وألا يعتبروا أنفسهم كأنهم طبقة أعلى وأنبل منها . يجب عليهم أن يحاولوا بكل الوسائل المـكنة أن يعلموا الجماهير « الاشتراكية العلمية » التى نعتنقها وأن يبصروها باستراتيجية هذا المذهب وتـكتيكه العلمى والنظرى .

يجب على كل رفيق أن يتذكر ، عندما يوجه كلامه إلى الشعب ، أن يتحاشى التعالى عليه ، وروح التعصب العقائدى ، والشـكليات والانتهازية . يجب أن يتوجه بكل عقله وأحاسيسه إلى الاستقامة والإخلاص والحماس عند مزاولته أعماله الثورية والوطنية وعند تعليم النظرية للجماهير .

يجب على كل رفيق أن يستمع بانتباه إلى صوت ورغبات الجماهير الشعبية ،

وأن يعمل بذكاء على إيقاظ ورفع الوعى السياسى للجماهير ، آخذاً فى الاعتبار مستواها الحالى ، وأن يساعدها فى تنظيم نفسها تدريجياً على أساس الاختيار الحر . وعليه ألا يحاول أبداً إرغام الجماهير الشعبية على فعل ما لا تريد ألا تفعله ، وإلا فإن النتائج تكون سلبية .

إن على مندوب مكتب العلاقات العامة أن يقيم علاقات ودية بينه وبين الجماهير الشعبية ، وذلك بالعمل وفق حاجات ورغبات الشعب ، إننى مقتنع بأن الجماهير الشعبية مستعدة لاحتضان المبادىء السليمة للاشتراكية العلمية إذا ما أرشدت بفعالية وحماس وانتظام .

يجب عليه أن يحذر من أن يثبط همم هذه الحركة الشعبية المتحمسة ، بل عليه أن يقودها بروح الحركة الديناميكية .

إنه فى مثل هذه الظروف ، يكون المرء عرضة ، عادة ، لارتكاب الأخطاء يجب أن تكون لدينا الشجاعة الكافية لتصحيح أنفسنا ، وذلك بأن نعترف بالأخطاء التى ارتكبناها .

يجب على كل رفيق مسئول أن يعتمد على الجماهير ، لا على قلة من الأشخاص فقط . يجب تجنب إصدار أوامر لا طائل تحتها عند القيام بنشاط معين . ويجب أيضاً تنمية روح المبادرة والطاقات الخلاقة فى الجماهير الشعبية . ويجب أن نأخذ فى الاعتبار دائماً طاقات القوى الشعبية والاعتماد عليها [1] .

اللواء محمد سياد برى

رئيس المجلس الأعلى للثورة

---

(١) النص بأجمعه من مجلة صوت المعلم ـ وهى مجلة دورية تصدر عن هيئة المعلمين الصوماليين ـ العدد السادس ـ السنة الثانية ـ فبراير ١٩٧٢ ـ سبتمبر ١٩٧٢ ـ منشوران هامان صفحة ٣١ و ٣٢ . النص من اللغة العربية .

وقد بدأت عدة مشروعات لإشراك الجماهير فى الحركة السياسية من خلال « مكتب العلاقات العامة » وأولها مشروع « إيسكاواه أو كابسو » أو « ساعد نفسك » .

والغرض أن يقوم « المكتب السياسى » فى هذا المشروعات بما يلى :

(١) تحقيق مبادرات الجماهير الخلاقة ودفعها نحو مزيد من الاشتراك فى بناء الأمة على أساس الاشتراكية والاعتماد على النفس .

(٢) التنسيق بين التخطيط والتنفيذ بتعبئة الجماهير حتى يمكن أن تتحقق مشروعات خطة التنمية .

(٣) حتى تكون القيادة السياسية على علم باستمرار بالتقدم فى كل المشروعات واشتراك الجماهير فيها وأوجه النقص وحتى تصل إليها الاقتراحات باستمرار .

(٤) الإشراف على المشروعات من الناحية السياسية وحتى تكون أعين الجماهير على العمل وعلى الجهاز الحكومى .

ولقد اندفعت الجماهير بالفعل تبنى وهى تغنى ، وهى لم تكتف بالتبرع بالعمل فحسب ، ولكنها — رغم فقرها — تتبرع بالنقود أيضاً . ومسئولوا « المكتب السياسى » يفخرون باشتراك الجماهير . إنهم يعملون كل شيء إبتداء من الفنادق حتى مبانى الوزارات والمصالح الحكومية والمدارس والمستشفيات والجوامع ومراكز بحوث الحيوانات والغابات . إنهم يبذلون كل ما فى طاقاتهم لأنهم يشعرون أن الفائدة من كل هذا تعود عليهم وعلى الأجيال التالية ، وليس على طبقة طفيلية تستولى على ثمار عملهم .

وعند زيارتى لأى منطقة ، كان المحافظ أو رئيس المنطقة أو مدير المصنع

أو أى مشروع ، كان يبدأ بسرد ما فعلته الجماهير من خلال هذا البرنامج .
فى منطقة أفجوى على سبيل المثال (بجوار مقديشيو ويعيش أهلها البالغ عددهم ستة آلاف نسمة فى تسع قرى) قامت الجماهير بإنجاز ما يلى خلال سنتين فقط :

٤ قنوات كبيرة فى أماكن مختلفة .
٥ مستوصفات بسيطة .
١ مدرسة إعدادية مكونة من خمس فصول .
٦ مدارس إبتدائية فى أماكن مختلفة .
١٤ تعاونية زراعية .
١ كوبرى خشب عبر نهر شيبيللى .
١ مركز توجيه وإرشاد تلتقى فيه الجماهير .
٢ سوق للحوم .
٤ أسواق للخضروات والفاكهة .
٢ حديقة عامة .
١ مركز بيطرى .
١ مركز للغابات .
١ مركز لحماية التربة .
١ مركز بوليس .
٢ جامعان .
٨ آبار غير عميقة .
٣٦ طريقاً لتسهيل المواصلات إلى وسط المدينة من المنطقة كلها .

ولكن لعل أروع عمل قامت به الجماهير هو حفرها فى هذه المنطقة لقناة طولها ١٤ كيلو متراً ، وكان الإيطاليون يدعون أنه لا يمكن شقها لأن المنطقة

أعلى من نهر شبيبللى ، ولـكن ثبت كذب هذا الإدعاء وهى تقوم الآن برى ستة آلاف هكتار وقامت على ضفتيها ثمانية تعاونيات جديدة ، وأطلق على هذه القناة إسم « السلام » بدلاً من « سـياد » بعض أن رفض الزعيم سياد بنفسه هذا ، وقد اختار هو الإسم الجديد وهو يفتتحها لأنها كانت تفصل بين منطقتى قبيلتين متخاصمتين تصالحتا . المهم أن القناة تـكلفت ١٤٥ ألف شلن صومالى فقط بسبب اشتراك الجماهير وكان من المفروض أن تتكلف ٢ مليون شلن إذا ما قامت بها الحـكومة بمفردها .

ليس هناك مشروع واحد من مشاريع خطة التنمية لا تشترك فيه الجماهير ، بل انطلقت مبادراتها الخلاقة تقترح مشروعات وتصوغها بنفسها .

النموذج الحى لاشتراك الجماهير هو بناء فندق جوبا وهو الفندق السياحى الأول فى مدينة مقديشيو الآن . فقد اكتمل بناؤه فى سنتين ونصف وصحيح أنه افتتح عام ١٩٧٤ . ولـكن اكتمل معظمه فى اكتوبر ١٩٧٢ أثنـاء احتفالات الثورة بعيدها الثالث وأقامت به الوفود ، وقد تـكلف رسمياً ١٦ر٥ مليون شلن صومالى بينما اشتركت الجماهير بالعمل والتبرعات . وقد قدر أن اشتراك الجماهير يساوى ١٣ مليون شلن .

— ثم هناك « المشروع الطارىء » وفيه نوع من التطوع إلى جانب العمل المأجور وهو فى القطاع الزراعى أساساً وعلى أكتافه قامت مزارع الدولة وحلت مشـكلة الحبوب ، والغرض منه أيضاً توطين البلاد . وقد شرحت هذا المشروع عند الحديث عن المسألة الزراعية .

— ومن أروع أشـكال العمل الجماهيرى . « فرق الجولواديال » ومعناها باللغة الصومالية « طلائع النصر » وهى الحرس الأحمر الذى يحمى الثورة ، ويتـكون من فتيان وفتيـات فى عمر الزهور يرتدون البـدلات الخضراء

والإيشارب الأحمر حول العنق وحذاء من الكاوتشوك البسيط الأبيض .

لقد بدأ تأسيس « فرق الجولواديال » فى أغسطس ١٩٧٢ ، وبدأت النواة الأولى فى مقديشيو . إن عضو « الجولواديال » هو إنسان يخصص كل جهوده وقدراته من أجل مصالح الأمة الصومالية ومن أجل الشعب الصومالى . وهو لا يتلقى أى نقود مقابل ذلك . إنه دائماً على استعداد للدفاع عن بلده ولأن يضع كل خبراته فى خدمة الاشتراكية العلمية . إن الغرض الأساسى من إنشاء هذه الفرق هو تطبيق ونشر مبادىء الثورة .

إن « الجولواديال » تكافح الجهل والكسل والقبلية والمحسوبية وتحمى الملكية العامة للشعب وتقف ضد نشاط الرجعية . وواحد من أنشطتها موجه ضد عملاء الإمبريالية ومثيرى الشغب والرجعيين والذين يبثون الشائعات ويروجونها والذين يجمجمون بالاشتراكية وشعاراتها وهم أعداء الشعب . وهم « طلائع » الثورة بالفعل الذين يدافعون عن تراث الشعب والثقافة الصومالية . وهم يساندون ويحمون كل الشرفاء الذين يخدمون الجماهير . إنهم مكلفون بالواجبات التالية :

١ ـ أن يكرسوا أنفسهم من أجل الاشتراكية العلمية .

٢ ـ أن يحترموا قوانين الدولة ومبادىء الثورة ويحثوا الآخرين على ذلك .

٣ ـ أن يقوموا بحماية الاشتراكية العلمية .

٤ ـ فضح الأعداء فى الداخل والخارج .

٥ ـ النضال ضد القبلية والمحسوبية .

٦ ـ التأكد من تطبيق قرارات « المجلس الأعلى للثورة » .

٧ ـ أن يخلقوا فيما بينهم علاقات ثورية أخوية وبينهم وبين الحركات التقدمية العالمية ومنظمات الشباب .

٨ ـ أن يحترموا قوانين الجولواديال .

٩ ـ أن يعرفوا المنطقة التى يعيشون فيها : جماهيرها ومشاريعها وجغرافيتها

١٠ ـ أن يعملوا من أجل جماهير شعبهم ويخلصوا لهم .

١١ ـ أن يتطوعوا بالتعاون مع هيئات الدولة المختلفة التى تعمل من أجل الجماهير والخدمات العامة مثل البوليس والمصالح الحكومية .

١٢ ـ أن يقوموا بتنظيم الجماهير وأن يعلموها كيف تقوم وتنظم مصالحها .

١٣ ـ أن يمدوا يد المساعدة ـ إذا احتاج الأمر ـ للقوات المسلحة .

وتتدرب فرق الجولواديال تدريباً عسكرياً إلى جانب دروس فى الاشتراكية العلمية وتاريخ الصومال وطريقة نمو الاشتراكية وحركات التحرر الوطنى الإفريقية وتاريخ الاستعمار والامبريالية فى القارة الأفريقية . ويلقى عليهم الرئيس سياد بنفسه بعض المحاضرات . وعلمهم أحمر تميزه « عين كبيرة » . فهم عين الوطن الساهرة التى تحمى الثورة وتكشف الخونة والمتآمرين .

وتتحرك الجماهير الشعبية فى كل مكان ولكن « المكتب السياسى » اهتم منذ بداية الثورة بأن تبنى الجماهير مراكز للارشاد القومى ليس فى كل مدينة ولكن فى كل حى ، تجتمع فيه الجماهير بكافة فئاتها تتناقش وتتبادل الخبرات والآراء والأفكار ، وتتلقى المحاضرات والتوجيهات . وقد لعبت المراكز دورها فى خلق الوعى السياسى . وخلق جو صحى تترعرع وتتقوى فيه العلاقات بين كل القوى الشعبية والثورية والتقدمية ، من أجل التقدم الاجتماعى وللنضال ضد كل أشكال التخلف .

الشخصية الصومالية الجديدة

إن أروع إنجازات الثورة هو خلق شخصية صومالية جديدة : الإنسان

الجديد . لقد روج المستعمرون لفكرة أن الإفريقى يجلس تحت شجرة هرباً من القيظ ولأنه كسول أصلا . وعند ما يجوع يمد يده ليقطع الثمار من الشجرة ، ثم يتثاءب وينام ، وهكذا . إن الصومال يتحرك الآن بنشاط ويبنى ويناقش لأنه يبنى حياته الجديدة .

وتوجد فى كثير من البلاد الإفريقية التى كانت مستعمرة ، قطاعات كبيرة من متشردى المدن ، ومن العناصر التى تخلت عن طبقتها والتى تخضع للتأثيرات الخارجية ، إذ يمكن أن تستخدمهم الرجعية كحثالة للبروليتاريا ، وقد قامت الثورة بواحدة من التجارب العظيمة إذ حولت هؤلاء إلى قوى منتجة ، وقد شرحت هذه بالتفصيل فى فصل المسألة الزراعية عند مناقشة التعاونيات .

تجربة أخرى فى هذا المجال تذكرنى بتجربة « ماكارنكو » فى الاتحاد السوفييتى خلال ثورة اكتوبر . فالاشتراكية « هى إعادة تشكيل المجتمع ومفاهيمه وقيمه عن طريق صياغة جديدة للبشر أنفسهم : ومن أجل المستقبل بدأت تجربة المدرسة الثورية فى طريق أفجوى »(١) .

وكانت زيارتى للمدرسة فى بداية إنشائها . وبها الآن ١٥٠٠ طفل كانوا يعانون التشرد والبؤس فى الشوارع وهم من الأيتام أو الذين أصبحوا ضحايا الطلاق والإهمال . ولكن هؤلاء الأطفال محظوظين ، لقد سألت أحدهم عن اسمه فقال :

— إن اسمى محمد أما أمى فهى الثورة وأبى هو سياد .

إنه بالفعل محظوظ ، إنه ينتمى إلى الوطن ، إنهم هنا يمارسون حياتهم

---

(١) العهد الجديد — واجا عسب — الطفولة وبناء المجتمع الثورى الاشتراكى العدد ٨ سبتمبر/اكتوبر ١٩٧٣



المرأة الصومالية تشترك فى الحياة السياسية والاجتماعية بنشاط ملحوظ
اشتكى منه بعض الرجال

بنشاط ويحفظون الأغانى الثورية ولهم فرقتهم الموسيقية الراقصة ، ويقومون إلى جانب دراستهم بالعديد من الأعمال إلى جانب تنشئتهم على القيم الثورية والاشتراكية .

وهذه ليست تجربة إنسانية لتحل بعض المشاكل الاجتماعية فى المجتمع الصومالى فحسب ، ولكن حلها كان بأسلوب ثورى ، إن هذه المدرسة هى التى ستزود الثورة فى المستقبل القريب بكوادرها . إن الثورة هى أمهم التى تربيهم وتنشئهم وتحميهم وحين يشبوا عن الطوق فهم الذين يعطونها كل ما لديهم .

والسمة المميزة للحركة الجماهيرية فى الصومال ، هى أن أغلبية المشتركين فى أعمال البناء والتنمية ، والمقبلين على مراكز الإرشاد من النساء الصوماليات . ويحمل مركز المرأة الصومالية فى بلادها عبر التاريخ مميزات المنبت الإسلامى ، ولعبت المرأة دوراً كبيراً فى مرحلة النضال من أجل الاستقلال حتى لقد كانت نسبة عضويتها فى الأحزاب السياسية ٤٥ ٪ وأساساً فى حزب رابطة الشباب الصومالى ، وقد ضحت الكثيرات بحياتهن بعد اضطهادهن فى زنزانات السجون ، وخلال رحلة الاستقلال تقلص دورها إلى حد ما ، ولكن بعد الثورة اندفعت تتطوع وتستمع إلى المحاضرات فى مراكز الإرشاد وتحمست لعمليات البناء والتعمير ، واندفعت الفتاة الصومالية فى فرق الجولواديال وغيرها ، ولعل هذه السمة هى التى تدهش زائر الصومال من أول وهلة .

المراجع والمصـــادر

أولا : المراجع العامة :

١ — جذور الثورة الأفريقية : تأليف جاك ووديس
ترجمة وتعليق أحمد فؤاد بلبع (القاهرة ـ ١٩٧١)

٢ — انتشار الإسلام في القارة الأفريقية : د . حسن ابراهيم حسن
(القاهرة ـ ١٩٦٤)

٣ — الصومال الكبير : د . راشد البراوى (القاهرة ـ ١٩٦١)

٤ — الصومال الجديد : د . راشد البراوى (القاهرة ـ ١٩٧٣)

٥ — التنافس الدولى فى بلاد الصومال : د . جلال يحيى
(القاهرة ـ ١٩٥٩)

٦ — العلاقات المصرية الصومالية : د . جلال يحيى (القاهرة ـ ١٩٦٠)

٧ — الصومال قديماً وحديثاً : حمدى السيد سالم (القاهرة ـ الاستعلامات الصومالية ١٩٦٥)

٨ — الجمهورية الصومالية : عبد المنعم عبد الحليم (القاهرة ـ ١٩٦٠)

٩ — تخطى الرأسمالية : فيكتور نياجو نينكو (القاهرة)

١٠ — أفكار جديدة للتحرر الوطنى : مجموعة مؤلفين سوفييت (القاهرة)

١١ — Asia and Africa : Fundamental changes Moscow - 1972

١٢ — Brief theoritical outline of 21et october Revolution :
Published by P.R.O. Mogadishu.

ثانياً : المصادر الأساسية :

ومعظمها من مطبوعات وزارة الإعلام والإرشاد القومى الصومالية ، إلى جانب الوزارات الأخرى .

1 — Development Programme 1972 - 1973 Ministry of Planning & coordination - 1972.

2 — Somalia's Socialist Revolutionary construction : 1972 - 1973

Ministry of information 1973

3 — Two years of Progress - Mogadishu - 1972

4 — My Contry and My People : Collected Speeches of M. Siyed Barre. in 2 volumes from 1969 - 1972

5 — Somalia Today : Ministry of information - Mogadishu - 1970

٦ — أدب الثورة — وزارة الإعلام والإرشاد القومى — مقديشيو ١٩٧١
جمع وتعريب عمر طرابلسى

٧ — الصومال الجديدة — وزارة الإعلام — ١٩٧٢

ثالثاً : المجلات :

— المجلة الزراعية ـ العدد السادس ـ يولية ١٩٧٣

الصومال : بقلم مجدى نصيف

— الطليعة ـ العدد ٧ يوليه ١٩٧٣

منغوليا : بقلم مجدى نصيف

— العهد الجديد ـ مجلة صومالية شهرية تصدرها وزارة الإعلام باللغة العربية ـ استعنت بأعداد من عامى ١٩٧٢ و ١٩٧٣

— نجمة اكتوبر ـ صحيفة يومية صومالية كانت تصدر باللغة العربية ـ استعنت بأعداد منها من عام ١٩٧٢

— مجلة AFRICA وهى شهرية تصدر بالانجليزية ـ استعنت بعددين : العدد السابع عام ١٩٧٢ والعدد الرابع عشر (اكتوبر) من عام ١٩٧٢ أيضاً .

أودع بدار الكتب والوثائق القومية تحت رقم ٣٨٩٠ / ١٩٧٤

دار مأمون للطباعة

ت ٢١٢١٨ — القاهرة

هذا الكتاب

بدأت الصومال تخطو إلى الحياة وتتطلع إلى المستقبل بشعبها القوى الذى لم يستجب للتمزيق ، ولم تؤثر فى انتمائه الحضارى إلى الأمة العربية كل المحاولات الاستعمارية إبان فترة الاستعمار .

وفى يوم الخميس ١٤ فبراير ١٩٧٤ احتفلت جامعة الدول العربية بانضمام عضو جديد لها ، وارتفع العلم الصومالى الأزرق ذو النجمة البيضاء يرفرف إلى جانب أعلام الدول العربية الأخرى ، والآن سوف نلعب دورنا الجديد بإخلاص للعروبة ولأفريقيا . هناك مسئولية جديدة ولسوف تكون الصومال جسراً قوياً بين أفريقيا والعالم العربى ... وهذا هو دورنا التاريخى ، وعلينا أيضاً المشاركة فى تحويل التكامل الاقتصادى بين العرب وأفريقيا إلى إيجابيات .

وهذا الكتاب هو ثمرة دراسة ومقابلات مكثفة ومتعددة عاصرتها بنفسى خلال فترة وجود المؤلف بجمهورية الصومال الديمقراطية ، قام بعدها بتجميع عدد من المراجع والوثائق . وهو بهذا يقدم تجربتنا إلى الشعب العربى ، تجربة ثورة اكتوبر وتجربة الشعب الصومالى فى بناء مجتمع اشتراكى بسماته وخصائصه ، ومصاعبه ومشكلاته .

عمر عمارة